الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

أبو نواس و الحداثة العربية

" الشعرية القديمة "

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص أدب عربي

إعداد الطالبة:

- فوزية غطوط

إشراف الأستاذ:

- منير بن ذيب

السنة الجامعية: 2010-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور اذا نجحنا و باليائس اذا اخفقنا.

و ذكرنا ان الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون

و يا من بخيفته يتب الخاطئون. يا انس كل مستوحش غريب.

الهي لا احتكام الا اليك و لا سلطان الا بشريعتك و لا اهتد الا بهداك.

هب لي من لدنك رحمة و الحقني بالصالحين .

و اجعل لسان صدق الاخرين و اجعلني من ورثة جنة النعيم.

الهي لاتخزني يوم يبعثون و لا ينفع مالا و لا بنون الا من اتاك بقلب سليم يا حي يا قيوم.

أمين

شكر و تقدير و عرفان

مصداقا لقوله تعالى :"لإن شكرتم لأزيدنكم "

و قوله صلى الله عليه و سلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

فالحمد و الشكر لله أولا و آخرا على التوفيق لإخراج هذا العمل المتواضع حيز الوجود، كما لا بد من شكر الأستاذ المحترم "**منير بن ذيب** "على كل ما بذله معي من جهد و ما أسداه لي من نصائح و توجيهات أنارت الدرب أمامي ، كما لا أنسى توجيه الشكر إلى الأخ" **مصطفى شبطول** "الذي ساهم و سهر على انجاز هذا العمل ولكل من قدم لي يد العون من قريب او من بعيد و لا أنسى الأخت و الزميلة" **سعاد حملاوي**"

فجزاهم الله عني خيرا.

"فـــــــــوزيـــــــــة"

مقدمة

تفتحت نظر ة الشـاعر الجـاهلي مبكرا على الوجــود، لما عـاناه من صـراع مع الطبيعــة و قساوتها فطرق أبواب عدة في الشعر معبرا بها عن ألمه و فرحهوحنينه رامزا إليها بالطلل مشخصا تنازعه لقد ه فيها ، و جرى الإسلامي مجراه، و فيما تغنى الأموي بجماله و عبر عن قنوطه من الحياة ، عانى العباسي مشكلة العقل و النقل، و الصراع بين التشكيـك و التصديـق و ظهر تفكير و تأمل في الوجود، و رغبة جامحة في توليد الجديد و نبد القديم ، و ربما كان باعثه في ذلك ما شهده العصر العباسي من تحولات حضارية أثرت فيه إلى حد بعيد .

و يعد أبو نواس من أكثر الشعراء العباسيين ، إطلاعا على ضروب الثقافة المختلفة في عصره لقد تركت أثرا كبيرا في أفكاره و معتقداته ، و خلفت في نفسه لونا من الإعتداد و الإعتزاز جعلته يشعر في أعماقه أنه فرد متميز على المستويين الشخصي ، و الإنساني وأوجدت لديه طاقة مغيرة ، رافضة متمر دة تخضع فقط للعقل و المنطق و الذوق ،ولا تحتكم إلا لسعة العلـــم و المعرفة.

و إن حضر الشعر العباسي، يحضر معه شعر أبي نواس لامحالة ، و من ثمة فقد وقف معاندا صلبا، رافضا للتقليد الإجتماعي و الأدبي و الديني،مدركا أن لكل عصر حساسيته اللغوية و الذوقية ،و أنـــه ينبغي على الشـاعر أن يبتكر و يخلق عالمـــا جديـدا من المعانـي و الصـور و اللغة الشعرية ، متخليا عن التبعية ، غير متكل على أساليب و طرق لا تنسجم مع متطلبات العصر الحضارية .

و إن مسألة التجديد في شعره و الحياة العباسية بأكملها ، كانت محل اهتمام الكثير من النقاد و الباحثين ،و ربما هي حداثة تشير إلى حساسية عصر ما بأسلوب ما .ولم أكن لأهتدي

إلى هذا الموضوع لولا توجيــه الأستاذ المشرف ، فاستدعى الموضوع اهتمامـي و قـررت مباشرة العمــل و البحث فيه ، حتى خرج إلى الوجود جنينا، سميته أبو نواس و الحداثة العربية الشعرية القديمة.

ثم إن النقائص و الأحكام المسبقة التي حوتها الدراسات السابقة تدفعنا إلى استقصاء الحقائق اللصيقة بهده المسألة ، و الكشف عن البواعث الحقيقية و المصادر التي استسقى منها أبو نواس تجربته الجديدة .

لكن كيف استطاع النو اسي أن يصنع أدبا جديدا و جميلا ؟ هل كانت لخمرته التي امتزجت وروحه و خففت عنه بر حاءه باعث لذلك؟ ، أم أن لمعتقداته الشعوبية نصيب في توجيه شعره واستحداث نظرته للحياة أيضا ؟ ثم، أين تجليات الحداثة في شعره ؟ و هذا ما سنجيب عليه في بحثنا هذا .

و لقد قسمت موضوعي إلى جملة من العناصر، فبدأت في التمهيد بالحديث عن حيــاة أبــي نواس و أدبه، ثم إشكالية الحداثة كمفهوم شامل .

أما في الفصل الأول فتم التطرق فيه إلى مصادر و أصول الحداثة الشعرية عند أبــي نواس و ضم عنصرين:

أولا: مصادر و أصول دينية ،و نتناول من خلالها إعجاب أبي نواس بالحضارة و الديانة الفارسية ثم أثرها في شعره .

ثانيـا : مصادر و أصول عرقية ، و تتمثل في مذهب الشعوبية، و قد تم ضبط مفهومها لغويا و اصطلاحيا، مع التعرف على أسباب نشوئها، و مظاهرها في المجتمع العباسي و تجلياتها كمظهر حداثي في شعر أبي نواس .

والفصل الثاني: هو عبارة عن فصل تطبيقي يتم التطرق فيه إلى ملامـــح الحداثـــة في شعر أبي نواس:

أولا : فنيـــــــــــا

ثانيـــا: حضاريـــــــا

و في كليهما يتم تحليل قصائد شعرية لأبي نواس، تبين تجليات الحداثة في شعره و في الخاتمة أوجزت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال دراستي للحداثة في شعر ه. إلا أنني أثناء البحث عن المصادر و المراجع إعترضتني بعض الصعوبات و المشاكل منها: قائمـــة المراجـــع و ندرة المصادر خاصة بالنسبة للمكتبة المركزية ، بالرغم من كثرة الدراسات في هذا المجال مما صعب علي تحليل بعض القصائد التي تمس الموضوع بشكل مباشر .

و قد تجاوزت هذه العقبات بالاعتماد على جملة من المصادر و المراجع ،التي أذكر منها: فن الشعر الخمري و تطوره عند العرب لإليا الحاوي، ضحى الإسلام لأحمد أمين، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم لحنا الفاخوري ، و اعترافات أبي نواس لكامل الشناوي الفهرست لابن النديم، البيان و التبين للجاحظ و معجم الأدباء لياقوت الحموي ، زيادة عن المصادر كديوان أبي نواس طبعة دار صادر بيروت، و ديوان أبي نواس، تحقيق علي فاعور.

و في النهاية أتمنى أني كنت قد وفقت في موضوعي هذا،وأتوجه بالشكر لكل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد ،كما لا يفوتني أن أتقدم إلى الأستاذ المشرف " منير بن ذيب " بالشكر الجزيل و كامل التقدير، لمجهوداته و نصائحه التي قدمها لي في هذا البحث .

تمهيد:
حياة أبي نواس و إشكالية الحداثة

أولا: حيـــــاة أبـــي نواس و أدبـــــه.

1- مولده و نشأته

2- صلته بوالبة بن الحباب الأسدي

3- منادمته للأميـــن

4- شخصية أبي نواس

5- زهده ثم وفاته

6- آثاره

ثانيـــا: إشكـــالية الحداثـــــــة.

1- مفهومها اللغـــوي

2- مفهومها الإصطلاحـــي

أو لا: حيـــــاة أبي نواس و أدبـــــــه

يتيم كثير الشغب ، هذه طفولته، سكير ماجن هذا طبعه، أحب و تعذب في حياته كفر وتاب ، عاشر الكبار ونادم الخلعاء، جمع ذروة الرقي في العلوم مع حضيض الإباحية في الأخلاق، إنه النواســي الذي نشأ في بيئة منحلة أخلاقيا لم تعرف سوى الفسق و الفجور، ألفها صبيا و تمتع بمتعتها شابا فغرق في المجون و إنحرفت حياته كلها.

" مثل واقع أبي نواس نمودجا ناجحــا عن واقع العصر العباســي بأكمله، في الإباحية و اضطراب القيم الأخلاقية"[1]، غير أن عصره كان" عصر علم ومعرفة وحضارة، عصر الفتن و الإنقلابات السياسية و الثورات الفكرية ، فقد ولد عندما كانت دولة الأمويين في طريقها إلى الظل وكانت دولة العباسين، تأخد مكانها تحت الشمس ، وفي عهد هذه الدولة اتسعت اللغة العربية بثقافة الهند والصين وفارس و الرومان واليونان ،و أبيحت حرية الفكر و حرية التعبير، وحرية العقيـدة و حرية الهدى و الضلال ، وحرية التقوى و الفجور، حرية السمو إلى البحث عن الحقائق ، وحرية التدحرج إلى المجـون و الإنحلال"[2] .

لقد سما هذا المعذب المبدع بشعره، تدحرج وعبث في دور السفالة وندم ونسك في أخر أيامه، وا إليكم لمحة تاريخية عن حياته.

وسنقف أولا عند مولده ونشأته ، ثم لقائه بأشهر خلعاء عصره، فهروبه منه و إقفاله عائدا إلى موطنه، ومن ثمة لن نطيل الحديث عن ليالي فجوره وفسقه في قصر الأمين لنعرج

---

[1]– إيليا الحاوي، فن الشعر الخمري و تطوره عند العرب ، ط1، دار الثقافة، بيوت لبنان، 1997 ،ص211.

[2]– كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس، ط2، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة،ص5.

عن أيام سجنه ومعاناته من حنين الخمرة، لتنتقل إلى مرضه و زهده في أواخر حياته، و أخيرا ما تركه النواسي من آثار.

1-مولـــده ونشـــأتـــــه:

أبو نواس هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء[1]، أحد شعراء العصر العباسي الأول ، وشاعر العراق في عصره، عاش في القرن الثاني الهجري[2] ويكنى بأبي نواس أو ذو النواس[3]، نسبه إلى ذؤابتين كانتا تتوسان على عاتقه، و قيل بل تكني بذلك تشبها بذي النواس أحد تابعة اليمن[4].

كان من أب و أم فارسيي الأصل، غير أن أمر أبيه و جنسه قد انبهم على بعض الرواة، حيث " رأى الأقدمون أنه ينتسب لآل الحكم بن الجراح من بني سعد العشيرة اليمنية ورأى الآخرون في أخباره أنه من أهل الشام"[5].

و الصحيح أن أباه كان مولى فارسيا من موالي الجراح بن عبد الله الحكميوالي خر اسان لعهد عمر بن عبد العزيز[6]، اشتغل بحياكة الملابس و رعي الغنم، فكاتبا من كتاب الخراج لمسعود الماذرائي[7]، قبل أن ينتظم في الخلافة. وقد نزل مع فريق بالأهواز لعهد مروان بن محمد (127هـ-131 هـ) ، وهناك تعرف على جارية فارسية تدعى جلبان،" وكانت تغزل

---

[1]- ديوان أبي نواس، تحقيق: علي فاعور،ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص4.

[2]- محمد توفيق النيفر، تاريخ الادب العربي بالفضاء الشرقي من الجاهلية إلى النهضة، ج1، AR113، ص80.

[3]- كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس ، ص5.

[4]- ديوان أبي نواس، ت:علي فاعور، ص4.

[5]- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، ط1، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص157.

[6]- ديوان ابي نواس، ت : علي فاعور،ص4.

[7]- م ن،ص ن.

الصوف وتنسجه"[1]، إنهامار أة لعوب سلبت لب هانئ حتى تزوجته و أنجبت منه عدة أولاد منهم :" أبو نواس ، أبو معاذ،" وقد تضاربت الأقوال في تاريخ ولادته ،"غير أن المرجح أنها سنة مائة وتسع وثلاثين للهجرة[2].

أما مكان ولادته فقد ذكرت فيه أقوال كثيرة والمجمع عليه أن أصله من خور الأهواز[3] بخوزستان[4].

ومهما يكن من أمر فإن الصبي لم ينعم طويلا بحياة الأسرة الهانئة، فلم يكد يبلغ سن السادسة من عمره حتى توفي أبوه، فنقلته أمه إلى البصرة ،وقامت على تربيته وسرعان ما دفعته إلى الكتاب، فحفظ القرآن و أطرافا من الشعر، وكان الغلام بين الفينة و الأخرى يتردد إلى حلقات المسجد الجامع ليتزود من الدراسات اللغوية الدينية، ومن الشعر القديـــم و معانيه، إلا أن والدته رأت أن تلحقه بأحد العطارين في أسواق البصرة وتنصرف هي إلى حياتها الرخيصة،" فقد أعدت بيتها لاستقبال العشاق، وكانت لا تكتفي بتقديم الخمر و الطعام لروادها بل كانت تقوم أيضا بتقديم النساء للرجال، وتعطيـهم الفرش و تغريهم بأن يبث بعضهم بعضا لواعج الحب و الشوق و الشهوة"[5].

وكان أبو نواس حينها يعيش خارج البيت ، ففي الليل يطلب العلم بمسجد البصرة على يد أساتذة اللغة و الفقه، و الأدب الحديث ، و تفسير القرآن إذ كان شاعرنا يستمع من أبي

---

[1]– شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، ص 157.

[2]– م ن ، ص ن.

[3]– ديوان أبي نواس، ت: علي فاعور، ص4.

[4]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الادب العربي ، الأدب القديم، ط1، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، 1986، ص692.

[5]– كامل الشناوي، المرجع السابق، ص6.

عبيدة* أخبار العرب و أيامهم، ويلتقط من أبي زيد**غرائب اللغة، و من خلف الأحمر*** نوادر الشعر و حفظ عنه أيضا مئات الأراجيز، وفي النهار يشتغل صبي العطار الحسن ابن سليمان.

2- صلتهبو البة بن الحباب الاسدي:

كان أبو نواس يشتغل صبيا في دكان العطار الحسن ابن سليمان، وكان جميل الصورة و المظهر، حلوا جذابا وكانت أمه قد جعلت من بيتها مباءة للعشاق و الفساق فهجر البيت و أقام مع الحسن في بيته[1].

و ذات يوم قدم الأهواز إلى البصرة والبة بن الحباب الأسدي، يشتري حوئج وبخورا فاشترى من العطار عودا هنديا، و أبي نواس كان يري العود فاحتيج إليه في بري ذلك العود

*-أبي عبيدة : ولد عام 114 هـ ، وتوفى 210هـ و قيل 211 هـ ، كان أبوه يهوديا بباجر وان، وقال الشيخ أبو سعيد رحمه الله : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، من تيم قريش لا تيم الرباب، وهو مولى لهم ويقال هو مولى لبني عبد الله بن معمر التيمي ، عمل كتاب المثالب، الذي كان يطعن على بعض أنساب النبي عليه الصلاة والسلام و يلقب{ بالسخت}*1، و هو من اهل فارس أعجمي الأصل و له من الكتب : غريب القرآن ، معاني القرآن، التاج (الديباج) ، الأمثال، و قيل أنه لما مات لم يحضر جنازته احد، لأنه لم يكن يسلم عليه شريف ولا غير ه ،محمد بن إسحاق النديم ، الفهرست، في أخبار النحويين و اللغويين ، ج2،ص59.

*1-السخت:كلمة فارسية معناها الصلب.

***- أبي زيد = (؟-ت 115 هـ) = اسمه سعيد بن أوس الأنصاري من صليبة الخزرج وقال عنه أبو العباس المبرد: كان أبو زيد عالما لنحو وكان يقال له أبي زيد النحوي ، أتى بغداد حينما قال المهدي محمد ، فوافاها العلماء من كل بلد بأنواع العلوم له من الكتب: كتاب حيلة و محالة، الهوش و النوش ، المغزى ، كتاب الإبل و الشاه ، خلق الإنسان، المطر و المياه، المصدر نفسه ، ص60.

***- خلف الأحمر = هو خلف بن حيان بن محرز ويكنى بأبا محرز البصري المعروف بالأحمر كان مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، من سبي قبية بن مسلم، وهبة للأشعري فأعتق والديه، وكان خلف رواية و علامة يسلك الأصمعي طريقه ، ومات خلف بعد وفاة الرشيد، سنة 193هـ ، وقيل 195هـ. ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د:حسان عباس، ط1، ج1، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1993، ص1254.

[1]-كامل الشناوي ، المرجع السابق،ص ن.

وتنقيته[1]، و قد جاءه رسول من أبي بحيرة الأسدي ،حاكم الأهواز يدعوه إلى العمل في داره، فأخذه معه و هناك التقى بوالبة بن الحباب و هو ابن عم الحاكم ويقول أبو نواس:" فلما رآني أحبني و أدناني منه، و قد كنت أميل إلى الشعر واسم والبة يتردد إلى الأفواه و أحفظ كثيرا من شعره ولم أكن أعرف شخصه فلما عرفته أقبلت عليه بكل جوارحي ، وقد اتفق معي على أن أصحبه إلى الكوفة في غفلة من الحسن العطار"[2]

إذا فلما رآه والبة كاد عقله يذهب، فحمله و قدم به الكوفة، و ربما كانت سيرة أمة الرخيصة و بأنه ابن ذاعرة هما سبب ارتحاله مع والبة و إغراقه فيما بعد في شرب الخمر و غمسه في كل ما كان يقع فيه من خطايا و آثام هو و رفاقه من مجان الكوفة" كحماد عجرد* الذين تأثر بفسقهم منذ لصغر ه و تخرج على مذهبهم".[3]

و قد صار والبة أستاذا له بعد معاشرة طويلة، جعل منه شاعرا ساحرا عربيدا زنديقا، لا يضاهيه أحد مثله في الفسوق و الفجور.

غير أن أبا نواس قد نفر منه بعدما اعتدى عليه في حانة طير ناباذ بالسكين و انقطع عنه، عائدا إلى رشده ،فتاب قليلا،" و خرج إلى بادية بني أسد و ظل بينهم حولا كاملا ليتزود من

---

[1]– ديوان أبي نواس ، ت: علي فاعور ،ص4.

[2]– كامل الشناوي ،المرجع السابق، ، ص18.

*– **حماد عجرد:**هو حماد بن عمر بن يونس، بن كليب الكوفي، المعروف بحماد عجرد، مولى بني سواءة بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد من طبقة بشار، و هو من مخضرمي الدولتين، نادم الوليد بن يزيد، و لم يشتهر إلا في الدولة العباسية، قدم بغداد أيام المهدي فاستقر بها، و كان ماجنا ظريفا متهما في دينه، و سبب تسميته بعجرد أن أعرابيا مر به و هو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد،و هو عريان، فقال له الأعرابي تعجردت يا غلام، فسمي بعجرد و هو المتعري، ياقوت الحموي الرومي، مرجع سابق، ص 1196، 1197.

[3]– ديوان ابي نواس ، ت : علي فاعور، ص 6.

ينابيع اللغة"[1] لكنه ولى وجهه نحو موطنه البصرة و أخد يفد على المربد بألواحه للقاء بالأعراب الفصحاء، كما أخد ينهل من دروس اللغويين و محاضراتهم:" بخاصة **خلف الأحمر**، كما طلب أيضا علم الكلام عن النظام و غيره من المتكلمين"[2]، غير أنه شد الرحال إلى بغداد ثانية مفارقا موطنه غير رجعة لا باكيا عليه و لا أسفا، و لم يلبث حين قدم بغداد أن قدمه **مرثمة بن أعين** إلى الرشيد، فمدحه و نال جوائزه و أخد ينفقها في الشرب غير تارك حانة بالكرخ*، أو ضواحي بغداد إلا ارتادها ملما من حين لآخر بدير من الأديرة المثبتة على شواطئ دجلة[3]، و كأنما تحولت حياته إلى حانـة كبيرة يقترف فيها كل ما لذ له من إثم و فجور.

و كان أبو نواس مبذرا سخيا، فلم تكن تكفيه عطايا الرشيد فقصد مصر ليمدح أميرها الخصيب**،" أملا أن، تكون عطاياه أوفر من عطايا الرشيد".[4]

و كان الخصيب فارسيا مثله، فاستقبله استقبالا حافلا بالفسطاط*** و أضفى عليه من نواله كثيرا كما أضفى عليه أبو نواس خير مدحه و له يقول:

أنـــت الخصـــيب وهـــذه مصـــر فتـــدفقا فكـــلا كمـــا بحـــر

النيـــل يـــنعش مـــاؤه مصـــرا و نـــداك يـــنعش أهلـــه الغمـــر[5]

---

[1]– حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 699

[2]– عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا و ظواهر، ط1، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 2008، ص 65

*- الكرخ: مكان في ضواحي بغداد، أبو نواس، الديوان، ص 8

[3]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط1، ج3، دار المعارف، ص 224

**-الخصيب: هو ابن عبد الحميد العجمي، كان عامل الخراج بمصر، من قبل هارون الرشيد،أبو نواس، الديوان ص 327.

[4]-– أبو نواس، الديوان ص 327.

***–الفسطاط: فسطاط مصر مدينة بناها عمر بي العاص، بعد فتحه مصر، ابو نواس، الديوان ص 330، و هي مكان قريب من شاطئ النيل، كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس ص 84.

[5]-أبو نواس ، الديوان ،ص 326–327.

و سرعان ما أخد يحن حنينا شديدا إلى بغداد، حيث المجون قائم على قدم و ساق، فعاد إليها و لم يلبث الرشيد أن توفي ، و خلفه الأمين (193، 198هـ) حتى حول قصر الخلافة إلى مقصف كبير للغناء و الرقص.

3-منـــادمتـــــه للأميـــــن

تولى الأمين بعد وفاة والده زمام الأمور في الدولـة، و أعتلى كرسي الخلافة، و كان فيه ميل شديد للهو، حتى أنه اتخذ النواسي نديما له يمدحه و ينظم له ما يشاء من غزل و خمر " و لقد أدناه منه و أحب فيه قدرته على الشراب و ظل معه إلى أن لقي الأميـــــن مصرعه"[1] و يبدو أنه كان شديد الولع بشرب الخمر، و كان يعشقها و كأنما في قلبه جدوة من الغرام بها و لا سبيل لإطفاءها إلا بشربها.

تناول الأمين الخمرة المسكرة على أنواعها، و لم يأبه لأحكامها، و كان يشربها أرطالا من صدر النهار إلى أخره، حتى إذا نام استيقظ في السحر طلب إلى أبي نواس أن ينشطه ببعض الأبيات ،فأنشده أبو نواس قائلا:

نبـــــه نـــــديمك قـــــد نعـــــس يســـــقيك كأســـــا فـــــي الغلـــــس

صـــــــرفا كـــــــأن شـــــــعاعها فـــــي الكـــــف شـــــاربها قـــــبس[2]

[1]-كامل الشناوي ، المرجع السابق ، ص 106

[2]-- أبو نواس، الديوان ص 383.

فهش الأمين و نشط إلى الشراب يصطبح به لليوم التالي، و ينعم بنشوته غير مفكر في دين و لا وقار خلافة، كيف لا و قد أخدت الخمرة قلبه، ووقع في حبائلها أسيرا و بسطت هي سلطانها عليه، و يقول عنه أبو نواس عنه:" لا أعرف أحدا هام بالخمر، كما هام بها أمير المؤمنين الأمين"[1].

ثم نهاه الأمين عن الخمر فلم ينته ،حينئذ أغراه الفضل بن ربيع وزيره بحبسه، فحبسه[2] وقد مضى في حبسه يستعطف الفضل بأشعـاره، مشيعا فيها روحه الفكهة بمـا يصور مـن نسكه و علامات السجود في جبهته، و حمله للمسابح وقر أته للمصحف الشريـف، فحن عليه الفضل و تلطف له عند الأمين فرد إليه حريته و له يقول:

أنـت يـا ابـن الربيـع الزمتنـي النســ ك و عودتنيـــه، و الخيـــر عـــاده

فـــارعوى بـــاطني واقصـــر حبلـــي، و تبـــدلت عفـــة وزهـــاده

المسـابيح فـي دراعيـي المصـــــ حـــف فـــي لبتـــي مكـــان القـــلادة

فـــادع بـــي لا عـــدمت تقـــويم مثلـــي، وتفطـــن لموضـــع الســـجادة

تـــر أثـــرا مـــن الصـــلاة بوجهـــي، تـــوقن الـــنفس انهـــا مـــن عبـــاده[3]

كما كان ولعه بالنساء شديدا ،حيث عرف جاريات و فتيات كثيرات، و لم يتزوجهن و لا أنجب منهن أولادا حتى، و كن عنان* و بنان**، والتي شغفته حبا منهن كانت جنان*** التي لطالما كرهته و رذلته وعابت عليه غلاميته و يقول في مدحها:

---

[1]– كامل الشناوي، المرجع السابق ، ص 106

[2]– شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، ص 158

[3]-أبو نواس ،الديوان ص219.

وجـــه جنـــان ســـراة بســـتان مجتمـــع فيـــه كـــل الالـــوان

مبذولـــة العيـــون وزهرتـــه ممنوعـــة مـــن أنامـــل الجـــاني

ولســـت احظـــى بـــه ســـوى نظـــر، يشـــركني فيـــه كـــل انســـان[1]

4-شخصيـــة أبـــي نـــواس

أ-خطيئـــته النشـــأة و التربيـــة:

كان أبو نواس في صباه بهي الطلعة، مرحا فكها، ميالا للدعابة سريع البديهة حاد الذكاء سريع الخاطر ،غير أن انحراف أمه بعد وفاة والده ،تركت في داخله شعورا عميقا بالخزي و العار. فالطفل صار ابن ذاعرة عابثة ،لم تهتم لأمره و لم تكترث لتربيته على نهج سليم ،ما جعله يلج مبكرا متاهات السكر و المجون، غير آبه منفسا عن ذاته بخمرته، فقد نشأ يتيما حرم عطف الأبوة، ولم يعرف صرامة الوالد، أما أمه" فقد تركته ألعوبة في يد الأقدار يتجاذبه السوقة إلى اللهو و الشرب"[2]، "وجعلته يستطلع الحياة ويتدرب على العيش فيها بأسلوبه الخاص فانحرف في صباه وانحرفت حياته جميعا"[3]. وكانت تلك هي الخطيئـــتة الأولى فـــي شخصيـــة أبي نواس .

---

*- عنان :جارية الناطفي كانت ذكية، رشيقة، جذابة، و كانت تقول الشعر هجاءه بديئة سلطة اللسان تروي كثيرا من أشعار القدامى و المحدثين و نمت بينها و بين أبو نواس علاقة طويلة ، كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس، ص 77.

**- بنان: جارية اليؤيؤ أحد من هجتهم أبو نواس، أبو نواس ، الديوان ص 685.

***- جنان: جارية من جواري الثقافيين مولاتها كانت عمارة بنت عبد الوهاب الثقافي ، أبو نواس ، الديوان ص 278.

[1]-ابو نواس ، الديوان ، ص 617.

[2]-حنا الفاخوري، المرجع السابق ، ص 693.

[3]- إيليا الحاوي، المرجع السابق، ص 211.

ب- حب فـــاشـل و حـــزن في الأعمـــــاق

إن ما زاد من تعقيد نفسيته أكثر ما لقيه من الجارية **جنان** ،وما عاناه بسبب ذلك الرفض المعلن و الجفاء ،"فقد مثل حبه لها زاوية جدية رصينة يلتفت من خلالها إلى واقعه في ظل حياته المستهترة من جهة، ومن جهة أخرى كان حبه لها النقطة السوداء التي لم تستطع هجر قلبه المنهزم[1]، ولو أن جنانا قد بادلته الإحساس ذاته لتخلص من همومه ،و لما التجأ إلى الخمر و بثها أحزانه .

غير أنه من المؤسف أن جنانـــا قست عليـــه و رذلتـــه، و لم تتوانـى في إظهـــار مقتهـــا و احتقارها له حتى شبهته بالكلب، و استطاعت أن تشيع في نفسه الإحساس الدائم بالشقـــــاء و اليأس و اللاجدوى، وهذا ما زاد من تعقيد نفسيته. ولم يعد بعد ذلك يتجرأ على حب النساء "فقد عانى تجربة حب قاسية ،علمته أن الحياةصراع دائم بين الرغبة و الخيبة و أنها ميدان شقاء لا فرار منه إلا بتخيل قوى ذهنية"[2].

ج- شـــذوذ جنسي و فلسفـــة خاصـــة

بعد ما فشل في علاقته بجنان انصرف النواسي عن حب النساء، وانطفأت في نفسه كل رغبة حسية، إذ لم يعد يحس بهذا العطف الغريزي تجاههم، وراح يتخوف من المرأة محاولا تجنبها، و أثبتت ذلك تصرفاته.[3] و راح يستمتع بالذكور المخنثة واجدا فيها حلاوة ومتعة لا

---

[1]- إيليا الحاوي، المرجع السابق ،ص212.

[2]- حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 293.

[3]- م ن، ص 297.

تضاهيهما مثلهما، وبحكم أن نزعاته وميوله تغلبت عليه و جعلته عبدا لهما، وذاك ما دفعه إلى حياة الكفر و المعصية، و أعطاه رؤية خاصة للمرأة و الدين و الحياة.

د-فـــــاسق نـــــاسك:

وتكاثفت عليه همومه واشتدت ألامه ،فصار يحدق للكون بوجه كالح مريض جاهل لسره وسر نفسه ،فتراه قلقا كثير التشكيك دائم الصراع و نفسه و أوامر الديـــن التي قيدته عن كل حـرام و تلك حالة نفسية غريبة سيطرت على نفسه و زجت به إلى هاوية المعصية.

"إنه يقترب من الكفر المطلق الذي لا رادع له، هذا إن لم يكن كافرا بالفعل". [1] ودافع انطلاقته تلك ربما كان سببها، ذلك الركام الذي تسرب في داخله منذ صغره، حتى نضجه ثم تعقد وتكاثف فيما بعد ، حين خاب فيه العثور على غاية يرتاح لها،و تجعله يشعر بأن الحياة جديرة بأن تعاش، و أن يكافح الإنسان في سبيل الحصول على متعتها.

5- زهـــــده ثم وفـــاتـــــه:

ولما تقدم به السن وعلته كبرة الشيخوخة، انصرف عن حياة العبث و المجون وتاب إلى ربه ندم، وأخذ ينظم أبياتا مختلفة في الزهد ومنها:

انقضـــت شـــرتي فعفـــت الملاهـــي، إذ رمـــى الشـــيب مفرقـــي بالـــدواهي

ونهتنـــي النهـــى فملـــت الـــى العـــد ل ،وأشـــــفقت مـــــن مقالـــــه نـــــاه

غيـــر أنـــي علـــى الإســـاءة و التـــف ريـــــط راج لحســـــن عفـــــو الله[2]

[1]- إيليا الحاوي، المرجع السابق ، ص 215.

[2]-أبو نواس ، الديوان ن ص688.

و في أخباره ما يدل على أنه تنسك مرارا، ثم عاد إلى غيه وربما ترجع فترات هذا النسك إلى زمن الرشيد، حين كان يلقي به في السجن ،و كأنما هي صحوات كان يفيق فيها ثم يرجع إلى خطاياه.

وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته، فقيل أنه توفي قبل الأمين [1]، غير أن في ديوانه، رثاء للأمين يشهد بأن وفاته لم تكن قبل الأمين ،و ذهب صاحب الفهرست إلى "أنه توفي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خر اسان سنة مائتين"[2].

كما اختلف في سبب وفاته فقيل: أنه توفي وفاة طبيعية، و قيل بل هجا اسماعيل بن نيبخت هجاءا لادغا ذكر فيه أمه ورماه بالبخل قائلا:

علـــى خبـــز اســـماعيل واقيـــة البخـــل فقـــد حـــل فـــي دار الأمـــان مـــن الأكـــل

ومـــا الخبـــز إلا كـــأوى يـــرى إبنـــه ولـــم يـــر اوى فـــي حـــزون ولا ســـهل[3]

فدس له شربه من سم قتله بعد اربعة اشهر وقيل بل دس له من ضربة حتى مات .[4]

ولما توفي أبو نواس، دفن بمقابر الشونيزي.[5]

---

[1]– أبو نواس: الديوان، ص 663.

[2]– محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، أخبار العلماء المصنفين من القدماء و المحدثين و أسماء كتبهم، منقول عن دستور ه و بخطه، المقالة الرابعة في الشعراء، ج4، ص 182.

[3]- ابو نواس ،الديوان،ص526.

[4]-محمد عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ط 1، دار الجيل ، بيروت 1992، ص 226

[5]- ابو نواس،الديوان، ص6

6- آثـــاره:

لأبي نواس ديوان شعري ضخم، جمعه كثير من الأدباء و طبع عدة مرات في بيروت، ومن طباعته الأخيرة طبعة دار الكتاب العربي ببيروت، وهذا الديوان انقسم إلى ثمانية أقسام: الخمريات ، الغزل، المدح، الهجاء ،الرثاء، الزهد، العتاب ،والطرد ."و ممن عمل شعر أبي نواس في القديم، نجد العالم أبو يوسف يعقوب بن السكيت، و قد فسره في نحو ثمان مئة ورقة، ومن أهل الأدب نجد لصولي الذي أسقط المنحول منه ،وعمل أبو الحسن الشهيشاطي أخباره و المختار من شعره، و الانتصار له و الكلام عن محاسنه"[1].

[1]- محمد بن إسحاق النديم، المرجع السابق، ص 182.

2- الإشكـاليـــة الحـداثـــة:

ضاق أبو نواس ذرعا بما هو تقليدي و نمطي في الشعر ،و الحياة العربية القديمة، و راح يدعو إلى ضرورة التميز و التفرد، لا على سبيل التغيير في النظم الفني فحسب بل بالإتيان برؤية جديدة للحياة و الكون أيضا، إنه يمثل خلاصة فكر اختمر طيلة قرابة قرن من الزمن، في مجتمع اضطربت أحواله الأخلاقية ، وغاص في متع الحياة إلى ركابه. و يشغل الباحثون في كل عصر بمشكلة الحداثة من حيث هي قضية تطرح نفسها دائما أمام القدم ، و المعروف أن القديم و الحديث دوران حضاريان متعاقبان باستمرار مادامت هناك حياة ، و ليس من السهل أن نضبط مفهوما واحدا و محددا لهذه العملية المعقدة ، التي امتدت في الزمن مند العصر العباسي حتى وقتنـــا الـــراهن.

أ/ مفهـــومهـــا اللغـــوي :

و جاء في لسان العرب أن: " الحديث هو نقيض القدم، و حدث الشيء ،يحدث حدوثا و حداثة و أحدثه فهو محدث ، و حديث كذا استحداثه .

و الحدوث: كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله و حدث أمرا، أي وقع ذلك الأمر و استحدث خبرا أي حدث خبرا جديدا.

و الحديث هو الجديد من الأشياء أيضا. " [1]

لكن ألم يكن في كل عصر جديد في الشعر، و غيره من ظواهر الحياة عموما ، ثم هذا الجديد أصبح قديما ، فالشعر الذي نكتبه اليوم يكتسب صفة القديم و لم يمض عليه إلا بعض

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : خالد رشيد القاضي ، ج7، ط1، دار صبح ، بيروت ، لبنان ، 2006،ص ص:69-70 .

عقود من الزمن ، و من هذا نفهم أن كلمة الحديث بمعنى الجديد ، كلمة مرنة ، فما يكون حديثا اليوم يصبح قديما في المستقبل، و كم من زمان كان في أوله حديثا، و هو اليوم في عداد القديم.

ب/ مفهومهـــا الاصطـــــلاحي :

و في نظر المحدثين و المعاصرين ، فإن هناك آراء أصابت و آراء ابتعدت في توضيح ماهية الحداثة ،"[2]فبعض المفكرين يؤرخون بداية الحداثة عام 1436، مع اختراع غوتمبورغ للطباعة المتحركة، و البعض الآخر يرى أنها تبدأ عام1520 مع الثورة اللوتيرية ضد الكنيسة ومجموعة أخرى تربطها بالثورة الفرنسية عام 1789، و قلة من المفكرين يظنون أنها لم تبدأ إلا عام 1895، مع كتاب فرويد في تفسير الأحلام و بدأ حركة الحداثة في الأدب و الفنون"[1]، ولم نستطع تجاهل دور أبو الفلسفة الفرنسية "ديكارت" في هذا الشأن ، و يعد ديكارت (1596 – 1650) حداثيا بالنظر لفكرة المنهج الفلسفي العلمي الجديد الذي اقترحه .

إذ لم يكن ديكارت في بادئ الأمر، طامحا إلى أن يكون مجددا ، يختلف عن رجال النهضة في عصره ، الذين كان جل مرادهم أن يكون الإنسان سيدا للطبيعة، يسخرها لخدمته و يتغلب على عقباتها ، وربما يتمكن من التغلب على الموت ذاته ،و كان لابد من تحقيق هذه المرتجيات بمبدأ ألا وهو العلم .

---

[1]-ستيفن تولمن،كوسلمبوس، الاجندة المخفية للحداثة،مطبعة جامعة شيكاغو، شيكاغو، 1992،http://AR.wikipidia.org/ 12 :04/01-05-2011

اعتنق ديكارت قول بيكون : " العلم سطوة و قدرة "" [1] ، و كان غرضه من ذلك تحرير العقل من كل ما هو ميتافيزيقي و اتخاذ العلم كمبدأ لبناء عالم جديد . و جاء منهجه هذا مناهضا لمن سبقوه ، كأرسطو و توما الإكويني ، " فقضى على العلل و النفوس و الحركـــات و لم يستبق سوى على العلة الفاعلة،كما حرر علم النفس من مقولاته المدرسية ، و علمي الأجسام و الحركات من كل تلك النظريات الهجينة المختلطة الأصول و المصادر."[2]

لقد كان جريئا بآراءه في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة هي السلطة الأمرة و المسيطرة على الفكر البشري ، لكنه بأسلوب ذكي و جريء استطاع أن يوفق بين رغبة الكنيسة و بين إرساء قواعد منهجه الجديد، " و بالتالي برهن ديكارت من خلال هذا ، أنه مجدد لا يباري بشهادة باسكال رونر نفسه "[3] .

في حين يقر ميشيل فوكو ، بأن ما حققته القطيعات المعرفية الكبرى بعد انتهاء العصر الكلاسيكي لا يزال يلتمس طريقه و تتكامل أهدافه حتى أيامنا هذه، و أن حركة الفكر لم تعد تمضي من تصورات الأشياء للأشياء ، ثم تعود و تستقر في الذهن ، بل إن هذه الحركة غدت انزياحا ماديا بمعنى أن يحدث انتقال من التمثيل إلى الشيء للاستقرار فيه، و ليس مغادرته فيما بعد و الالتجاء من جديد إلى تمثيله في الذهن (أو العقل ، كما عند كانط).[4]

---

[1] –جان قال ، فلسفة الفرنسية من ديكار ت إلى سارتر ، ترجمة : الأب مارون خوري ، ط3 ، منشورات دار عويدات ، بيروت باريس ، 1982 ، ص 9 .

[2] – م ن ، ص 10.

3– م ن ، ص ن .

[4] –ميشيل فوكو ، الكلمات و الأشياء ، مشروع مطاع صدفي للينابيع ، مركز الإنماء القومي ، رأس بيروت ، لبنان ، 1989 – 1990 ، ص111 .

و لعل استنفاذ عصر الحداثة الأول ، يندر بانبثاق عهد جديد الحداثة البعدية " حيث التحديث لم يعد يكتفي بتغير صور ة العالم و حيزاته المختلفة ، بل غدا الإنسان موضوعا هو ذاته للتحديث ، و ليس مجرد أداة له كما كان طيلة تصور النهضة الغربية السابقة".[1]و بما أن الحديث عن الفلسفة الديكارتية ، أمر في غاية التعقيد و الصعوبة فإننا نكتفي بالقول بناءا على ما تأسس أن: العاطفــة و الإلهــام ، همــا أصل الاكتشاف الديكــارتي و مصــدر ذلك الانفجار المعرفــي و المادي في العقلية و الحياة الغربية كافة .

و إن كانت الحداثة عند ديكارت قد ارتبطت بالعلوم الرياضية و التقنية ، فإن أحمد علي سعيد إسبر – أدونيس – قد جعل منها القضية الأولى في مشروعه الذي يمثل صرخة انعتاق في قضية النموذج المعرفي الغربي الحداثي ،و سنضع هذه القضية على محك الدراسة ، حيث سنقوم بعجن بعض الآراء، محاولين فرك بعض الجوانب الغامضة منها، لانتزاع مفهوم واضح للحداثة .

و من هذا المنظور يرى أدونيس بأن ،الحداثة ليست الثورة على القديم ،و لا إسقاط القداسة عنه و يقول في هذا الصدد: "لا يكفي أن يتحدث الشاعر عن ضرورة الثورة على التقليد و إنما عليه أن يتبنى الحداثة، و ليست الحداثة أن يكتب قصيدة ذات الشكل مستحدث شكل لم يعرفه الماضي ، بل الحداثة موقف و عقلية ، و إنها طريقة نظر و طريقة فهم "[2] .

و يريد أدونيس من كل هذا الكلام أن : الحداثة ليست كل شكل خارجي مستحدث ، و إنما هي مشكلة معرفية بالدرجة الأولى، و معرفة الإنسان المعاصر لذاته و محيطه و العالم من حوله. ثم يصبغ هذه العقلية ،و هذا الفهم بسمة ثورية قائلا " ثوريا ، تعني الحداثة نشوء حركات

[1] – ميشيل فوكو ، مرجع سابق ، ص 119 .

[2] – أدونيس ، زمن الشعر ، ط3 ، بيروت ، دار العودة ، 1983 ، ص 115 .

و نظريات و أفكار جديدة و مؤسسات و أنظمة جديدة ، تؤدي إلى زوال البنى التقليدية في المجتمع و قيام بنى جديدة "[1] .

ثم يتخذ من أبي نواس رائدا لمشروعه الحداثي ، إذ يرى أن في نتاجه ما يوحي بالحداثة ألا و هو هاجس الثابت و المتحول، بحكم ما خرج به عن التفكير العربي آنذاك .و على حد قول أدونيس فإن الحداثة (.....) ليست ابتكارا غربيا . لقد عرفها الشعر العربي ، منذ القرن الثامن ، أي قبل بود لير و مالا رميه و رامبو ، بحوالي عشرة قرون ، و هي لذلك ، ليست مستوردة "[2] .

و يتفق معه محمد برادة في أن : " الحداثة تتصل بحداثتين كبيرتين في التاريخ ، و هما الحداثة العباسية و الحداثة الأوربية في القرنيين الأخريين "[3] .

و ما يهمنا هو الحداثة الأولى ، لأن أبا نواس خرج عن التقاليد القديمة و أحدث ووفق في التعبير عن مشاكل عصره و ضميره، متخذا الخمرة قناعا للمجون، إنها تمثل بالنسبة إليه بؤرة التحولات، إذ وجد فيها منفذا للهروب من واقع الحياة و جفائها، إنها مصدر نشوته لمواجهة همومه و آلامه، فتراه يقدسها و يضعها مقام الله و يراها مكان الأم و الحبيبة الجنس و الذي يفرغ فيه رغباته، و كلها رموز أحدثها ، و لها امتداد في وقتنا الحاضر، و هكذا نفهم أن المتحول

[1] – أدونيس ، فاتحة لنهايات القرن ، بيانات من أجل ثقافة عربية ، ط 1 ، بيروت ، دار العودة ، 1980 ، ص 312 – 322 .

[2] – م ن ، ص 326 .

[3] –محمد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، فصول م 4 ،ع3، 1984 ص 27.

الذي خرج به أبي نواس عن الأصل مازال ممتدا في عصرنا ،و شعره كان فعل حياتي عوض به نقصه الشامل [1] .

و يتفق أدونيس مع أبي نواس في أن عملية الخلق و الإبداع لا يأتي بها الشاعر مما هو مألوف في الواقع، بل تأتي من العقل،" فجديد أبي نواس لم يكـــن في دعوتـــه لترك الطلل و وصف الريـــاض بقدر ما كان جديه في نظر ته العقلية الجديدة للحياة و الكـون و المصيـــر و إن تعويضه الطلل بالخمرة تجديد في الموضوع فقط، أما القيمة الحقيقية فتشخص في الروح الجديدة التي يعبر الشاعر عن الموضوع من خلالها" [2] .

و خلاصـــة القول أن: أبا نواس" الذي سخر من القيم العـامة النهائيـــة و من القـائلين بها و القيمين عليها، و الذي يعصي الله و لا يواجهه بدين الجماعـة، إنما بدينـــــه هو، و براءتـــه و خطيئته ، و هو أكمل نموذج للحداثة في موروثنا الشعري " [3] .

و بعد عرض كل هذه الآراء نلخص إلى وضع مفهوم اصطلاحي للحداثة :

بأنها عملية تستهدف القطيعة مع الأنماط التقليدية ، في التفكير و العيش و القيم و تحل محلها أنماط جديدة ، تتبني على أسس معرفية أبرزها : العقلانية و الذاتية و لعل ما شهده العصر العباسي من اضطرابات في الأخلاق و تقلبات في أحوال العيش لدليل واضح على ذلك إنها حداثة عصر تشير إلى حساسية ما و بأسلوب ما، أخدت شكل مجموعة من النماذج السلوكية و القيمية، منها ما هو لا زمني و مطلق و منها ما يرتبط بالحقب التاريخية ، رغم

[1] – آدونيس ، الثابت و المتحول ، ج2 ، بيروت ، دار العودة ، 1983 ، ص111 .

[2] – إيليا الحاوي ، فن الشعر الخمري و تطوره عند العرب ، ص 300 .

[3] –آدونيس ، مقدمة الشعر العربي ، ط 4 ، بيروت ، دار العودة ، 1983 ، ص 53.

الطبيعة المتغيرة و المتعددة الأشكال التاريخية ، من حيث أنها نشأت عن بعض التحولات العميقة في التنظيم الاقتصادي و الاجتماعي ، فهي تتحقق على مستوى العادات و طرائق العيش و أنماط الحياة اليومية .

الفصـــــل الأول:

مصادر و أصول الحداثة الشعرية عند أبي نواس

أولا :مصادر و أصول دينية للحداثة الشعرية عند أبي نواس

أ-العقائد الدينية االفارسيـــــــة

1-الديانة الآريـــــــة

2-الديانة الزرادشتيـــــة

3-الديانة المانويـــــــة

4-الديانة المزدكيـــــــة

ب-أثـــــر الديانـــــة الفارسية في شعـر أبي نـــــــواس

ثانيا : مصادر و أصول عرقية للحداثة الشعرية عند أبي نـواس

1- مذهب الشعوبية و ملامحه في شعر أبي نواس

أ- مفهومهـــــا لغـــــــة

ب- مفهومهـــــا اصطلاحـا

2-أسبـــــاب ظهـــور النزعة الشعوبية في العصر العباسي

3- مظاهر النزعـــة الشعوبيـــة في المجتمـع العبـــاسي

4-ملامـــح الشعوبيـــة الأدبيـــة فـــي شعر أبي نـــواس

أولا: مصـــــادر و أصول دينية للحداثة الشعرية عند أبي نواس

تداولت على العراق أمم كثيرة قبل الفتح الإسلامي، خلفت حضارة و ثقافة لا تضاهى، ومن بقايا هذه الأمم نجد : العرب ، الترك ، وممن كانوا على دين المجوس ومن ليس لهم دين فيها كسلالة زرادشت، وكونفونشنيوس. "[1] كما كان يقطنها الكلدان و السريان،أيضا غير أن الغلبة كانت للساسانين وقتها."[2]

وقد ولد أبو نواس من أب وأم فارسيي بخوزستان[3] قرب إيران ، وكان أجداده الساسنيين قبل دخولهم في الإسلام ، معتنقين للديانة الإيرانية، " و يوجد هناك ركنان أساسيان في هذه الديانة، هما : الإيمان الآري التقليدي، وتعاليم زرادشت الدينية،و التاريخ الديني لإيران هو قصة تفاعل هذين الضربين من الإيمان تحت تأثير قوى خارجية"[4].

أ/الـديانـــة الآريـة: إن الآريين شعب بدوي مولع بالقتال، تحرك حوالي عام 1000 ق.م إلى داخل إيران،من شمالها إلى الشمال الغربي، وبحلول عام 800 ق.م كانوا قد طوقوا المنطقة و احتلوا أرض إيران، وقد تعددت عندهم الآلهة و الطقوس الدينية،و حسب ما كشفته لنا ديانات الهند و إيران، إنها ديانة شعب يعيش على مقربة من الطبيعة ، ويجد فيها المتعة، و يخشاها في آن واحد ، و بالرغم من إفتتانه بالحياة التي تهبها له الطبيعة الخيرة، فهو يخاف من قسوتها المدمرة للحياة، وتوحي أسماء

[1] – كامل الشناوي ، مرجع سابق، ص 82

[2] – أحمد أمين ، مرجع سابق ، ص 174.

[3] – حنا الفاخوري ، مرجع سابق، ص692

[4] – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، تحقيق إمام عبد الفتاح ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1978،ص102.

الآلهة عندهم بالطابع المجرد لهذا الدين: فالعقد (مترا)، القول الحق (فارونا)، و الضيافة (أريامان)[1].

ب/الديانة الزرادشتية: ازدهرت الديانة الزرادشتية، في عصر الأخمنيين (550- 333 ق.م) ، و هو من أزهى فترات التاريخ السياسي في إيران ، وتكشف لنا العديد من النقوش الملكية أن الزرادشتية كانت مصدر تأثير على البلاط، خصوصا خلال حكم الملك دار و الملك أكسيركس[2].

ويعد زرادشت مؤسس هذه الديلة، التي ظهرت في القرن 7ق.م[3] ، لقد مارس نشاطه في شرق إيران، ونشر تعاليم ديانته في كتاب له سماه الأبتساق[4] ، و يعتبر من أهم الكتب الفارسية القديمة ،"و لم يتمكن العلماء من تحديد الوقت الذي عاش فيه زرادشت على وجه اليقين، و كذلك المنطقة التي نشأ فيهاو الوقت الذي كتب فيه الأوستا و لكن معظم العلماء يتجهون إلى الأخذ بالرأي الذي نادى به جاكوبسون[5] ، و هورأ زر ادشت قد ولد في النصف الثاني من القرن السابع ق.م ، و توفي في النصف الأول من القرن السادس ق. م وهناك من الباحثين من يرجع الفترةلتي ظهر فيها زر ادشت إلى حوالي 1000ق. م، أن لم يكن قبل ذلك.[6] " أما المكان الذي ولد فيه فيتجه إلى أنه ولد في "بلخ "، و لكن الرأي الغالب أنه ولد في منطقة أذربيجان في شيز على وجه التحديد و هذا ما يذكره بعض

---

[1] - المرجع السابق، ص ص :89،90.

[2] - م ن ، ص 102.

[3] -شوقي ضيف ، تاريخ الأ دب العربي، العصر العباسي الأول ، ص 78.

[4] - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ط1، مدرسة الطبع و النشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 49.

[5] محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج 1 ،مصر ، الكتاب الأول –الاسكندرية –1982،ص 263-296.

[6] – من هؤلاء الباحثين: meyer,E–inencycpudia.britannica,end .xx1.205b.

المؤرخين الإسلاميين كالبلذاري و ابن الفقيه و غيره أنه من أذربيجان، وقد ولد في أرمية و على ذلك فإله طبقا للروايات الزرادشتية و الإسلامية و أقوال غالبة المستشرقين يكون موطنه في غربي إيران، وهناك هاجر شرقا إلى "بلخ" حيث قام بدعوته"[1] ، و يضم الأبستاق خمسة أجزاء و هي: يستا(و تعني التسبيح و الصلاة)، ويسبيرد(كل السراة)، ويندياد (قانون ضد الشيطان)،يشتها (الأبستاق الصغير)،خردة أوستا (أي الأبستاق الصغير)[2] و ما وصلنا من تعاليم ديانته، سبع عشرة ترنيمة من ترانيمه المسماة جاثا gathasو على الرغم من أنه يصعب علينا ترجمتها جميعا إلا أننا استطعنا أن نهتدي إلى جملة من الأمور المذهلة، التي زعم فيها أن " العالم تحكمه قوتين متصارعتين هما : "أهوامزاد السيد المهيمن الحكيم إله السماوات و الأرض ، وخالق النور وكل خير ، و تعارضه قوة شريرة وقوة مدمرة ، جسدها في الشيطان أهرمان الموجود بصفة مستمرة والمسؤول عن كل الشرور في العالم ، و الأمراض ، والموت و الغضب التهم" [3]، و الواقع أن عالم الشيطان حسب زرادشت عالم غريب لا يستطيع أن يتخذ شكلا ماديا ، وإنما يبقى في العالم متطفلا ، محاولا عبثا تدمير أعمال الله.

كما يرى زرادشت أيضا "أن طقوس النار القديمة هي رمز النور و القانون الكوني لله ، استخدمها كثيرا في صلواته ، و على حد اعتقاده لا ينبغي أن تراها الشمس أو عيون غير المؤمنين ،لأنه لو حدث ذلك فعلا لتلوثت ودنست ، و رأى أنه لا بد أن تحفظ في معبد للنار يسهر على

---

[1]– أمين عبد المجيد بدوي ، القصة في الادب الفارسي ، بيروت ، 1971،ص .29،30

[2]– أحمد أمين سليم ، دراسات في تاريخ إيران القديم و حضارتها ، إيران مند أقدم العصور في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد دار النهضة العربية ، بيروت ، 1988، ص 75

[3]– المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مرجع سابق ، ص 92.

خدمتها كهنة صادقين "[1]. و إثرئذ قسم الصلوات بعدد أقسام اليوم ، كصلاة غروب الشمس ،واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحياة كالميلاد ، و البلوغ ، الزواج ، و إنجاب الأبناء و الموت.[2]

و يرى الزرادشتيون في" نبات الهوما إلها على الأرض ، حيث أنه في الهوما يسحق الإله و من العصير يستخرج شراب الخلود "[3]، و بالرغم من استياء نبيهم زرادشت من هذه الوثنية فإن عادة الشراب بقيت متبعة في الديانة الزرادشتية ،و ذلك " ما يفسر لنا سر تقديس أبي نواس للخمرة و نعتها بالأسماء الحسنى "[4]، لقد كان أبو نواس يحترمها و يحبها لأنها متوارثة عن أجداده الفرس من جهة ، و لأنها مصدر النشوة و السعادة الغائبة عن حياة العرب من جهة أخرى.

وراح يقيم لها في هذا الشأن ،طقوسا لعبادتها و تكريمها ، و يصلـــي في حضرتها و يسبح لها بالجلالة و الإكبار[5] ، و يقول الناقد طه حسين " بأن أبا نواس كان يحب الخمر حبا ربما كان أشبه بالدين يعبدها و يقدسها ... "[6] .

[1] المرجع السابق ،ص ص 91-95.

[2] م ن ،ص 95.

[3] م ن ، ص ن.

[4] حنا الفاخوي ، مرجع سابق ، ص 700.

[5] – م ن، ص 701

[6]– طه حسين،حديث الأربعاء ، ج 2 دار المعارف مصر 1965 ص 87 .

و المعروف عن الديانة الزرادشتية أنها ديانة مرحة في جوهرها ،فمثلا في اليوم المخصص من أيام الشهر لإله الحساب، لا ينصحون المرء أن يكتئب عكس يوم رشن ، فالحياة مرحة و لك أن تفعل ما تشاء في قدسية .[1] و أبو نواس كان من العـــابثين بالديـــــن ،و الباحثين عن اللذائذ بنهم، فتراه يبجل بأيام الفرس ويحتفل بأعيادهم فيها و في المقابل يذم أيام العرب ، وتكتمل فرحته باحتساء الخمرة وارتكاب كل حرام يقوده إلى وكر الرذيلة قصد المتعة .

كما كانت التعاليم الشفهية للديـانة الزرادشتية تعلم النـاس " أن "النسـق" و النظـام، و المبـــدأ و القاعدة ،وما نراه في السموات و الأرض ، تجعلنا نؤمن بـه "[2] .و الزرادشتيـون يحبون العـــالم و يؤمنون بأن الحياة تعلمنا " أن الله الموجود الأعظم و الأفضل و الأسمـــى من حيث الفضيلة و الاستقامة و الخير"[3] .

كما ادعى زرادشت أمور كثيرة منها: " العلم بالغيب ،و بأن هناك وراء الحياة الدنيا حياة ثانية، يحاسب فيها المرء على أفعاله و يجازى بالنعيم أو الجحيم " [4]

ج/ الديانـة المانويـة: وما فتئت أن عمت ديانة زرادشت بلاد الفرس ، حتى ظهرت ديانة أخرى جديدة في القرن 3ق،م على يد داع جديد يدعى ماني [*] ،هذا الأخير الذي لم يغير كثيرا في اعتقادات الفرس، وأعلن أنه جاء ليتمم عمل زرادشت ،و بوذا المسيح ،و من الأمور التي

---

[1]– المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،مرجع سابق ص 94.

[2]– م ن، ص 92 .

[3]– ج ،ج ، مودي ، التعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية ، بومباي 1962 ص 6 وما بعدها

[4] – شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ص 78 .

[*] ماني : ولد الماني (216–274)،من اسرة بارثية ملكية ، هو ماني بن فاتك الفارسي ، مؤسس الديانة المانوية التي ظهرت في القرن الثالث ميلادي ، و انتشرت في انحاء الامبراطورية الرومانية و اسيا و تاثرت بالزرادشتية فقالت بالاهين احدهما اله الظلمة و الاخر اله النور.، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، مرجع سابق ،406.

عمل عليها ماني كانت " توحيد آلهته بوصفه رسول النور مع آلهة المستمعين إليه ،فإذا ما وجه خطابه إلى المسحيين فهو المخلص يسوع ، وعندما يخاطب الزرادشتين فهو الإنسان الأول " أهورامزدا" ، أما إله العهد القديم فقد كان ماني يبغضه ،ما مكن ذلك المانويين في عصور الاضطهاد أن يقدموا أنفسهم بوصفهم مسيحيين أو زرادشتين ."[1]

لقد خلق الماني ، عن وعي، دينا جديدا ،و زوده بالطقوس و الآداب الدينية ،و حرم الأوثان ،لكنه لم يؤمن بالقيمة التربوية للفن ،و أمر بتجليد الكتب تجليدا فاخرا و أن تزين بالرسوم و أن تصاحب الطقوس تراتيل و موسيقى جميلة [2] .

د/ الديانة المزدكية: و ما إن مضت خمس قرون على الديانة المانوية ، حتى ظهر داع جديد في إيران إنه موزدك، وكان ثنويا، يؤمن بإلهي النور و الظلمة و تقديس النار، أتى بالديانة المزدكية ، وهي ديانة فارسية قديمة إباحية ،هادمة للقيم الإنسانية تحريضية فوضوية تقوم على الغريزة الجنسية، ومن مبادئها: تحليل النساء، و الأعراض، و إباحة، الأموال و جعلهم شركة بين الناس ، كاشتراكهم في الماء و النار ،و الكلأ ، و مذهبه في ذلك الأصول الثلاثة : الماء و الأرض و النار .[3]

ولقد ظلت هذه الديانات حية قوية حتى العصر العباسي ، و خاصة و أن الإسلام و المسلمون قد عاملوا المجوس ، معاملة أهل الكتب السماوية ،و قد شكلت تلك النحل المجوسية آنذاك خطورة كبيرة على الدولة الإسلامية ، وكانت المنوية أخطرها .

[1] – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،مرجع سابق،101.

[2] م ن ، ص 101-102.

[3] –شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأول ، ص 79.

لأن الكثير من الملا حدة و الزنادقة ساعدوا في نشرها ، وترجموا كتبا عن النحل الفارسية ودعوا إلى تعاليمها، وما يمكن أن ننتهي إليه أن أفكار أبا نواس قد قننت و عدلت وتلاءمت مع أفكار العصر و حاجاته، لكنه يبدو أنه حدث تلاق و انسجام بين تعاليم الديانة الزرادشتية، وما دعت إليه المزدكية، و بين إيمانه هو الذي عبر عنه بطريقة جريئة .

2/ أثـــــر الـــديـــانـــة الفـارسية في شعر أبي نواس

كان أبو نواس ، يشتهي خمرته كثيرا ، و يقدسها كما قدسها أجداده ، إلى درجة أن أقام طقوسا لعبادتها ، فهي إلهة تستحق الثناء و الشكر و لقد افتخر وأعجب بها لأنها موروثة عن أجداده الفرس و لم يكن يفوت فرصة أو احتفالا إلا و تناولها و يقول متباهيا بأصله و حضارة أجـــداده الفارسيـــة :

عـــاج الشـــقي علـــى دار يســـائها و عجـــت أســـأل عـــن خمـــارة البلـــد
لا يرقـــىء الله عـــين مـــن بكـــى حجـــر و لا شـــفى وجـــد مـــن يصـــبوا إلـــى وتـــد[1]

وهذان البيتان بقدر ما يدلان على حقد أبي نواس للعرب ، هما افتتان أيضا بحضارة أجداده التي تبيح له الشراب و اللهو على غير تحريم ، " إذ كانت الفرس قديما أكثر الأمم ميولا للشراب ، حتى وصفهم العالم هيرودوت بالإدمان عليها، وتصريفهـــم لشؤون الدولة و هم سكـــارى ".[2]

[1] - أبو نواس ، الديوان ، ص 181.
[2]– أحمد أمين، مرجع سابق، ص 186.

وطبقـــا لتعاليم الديانة المزدكيـــة التي تبيح النساء، فإن أبا نواس لم يتوارى مطلقا في حياته عن اقتناء النساء كلما طاب له ذلك ، و قد كان عدد الجواري لا يحصى في عصره خاصة ممن عملن على نشر الفساد بين الجنود و في البلاد ،" فمنهن بربريات مطبوعات على الطاعة ،و زنجزيات قبيحات للرقص و المتعة ،و تركيات هن كنوز الأولاد و معادن النسل ، و روميات أمينات ، تختلف أثمانهن بإختلاف أجسادهن و الفنون التي يجدنها " [1]، لكن أبا نواس كان شديد التعلق بالجواري الفارسيات ، منهن ، بنان ،عنان، اللاتي أقام معهن عشرة طويلة .

أضف إلى هذا وذاك، " فإن عادة تعشق الذكور أول ما ظهرت و إنتشرت، كانت في المجتمع الفارسي" [2] ، و يمكن أن ننفي أي صلة للعرب بهده الظاهرة، لأن هناك ما يثبت تار يخيا أن العرب لم تعرف هذا النوع من اللواط ،قبل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري [3] و لواط أبي نواس بالغلمان كان نتيجة تأثره بالمعتقدات الفارسية القديمة التي تزامنت مع متع عصره و أنت تقرأ هذه الأبيات ترى أثر هذه المعتقدات يطفو على شعره ومنها:

يســـقيكها مختلـــق ، مـــاجن ، معـــــود لســـــقي ، نحريـــــر

منقطـــع الـــردف ، هضـــيم الحشـــا أحـــور فـــي عينـــه تفقيـــر [4]

[1] - سعيد أبو العينين. ، حكايا الجواري في قصور الخلافة الهيئة العامة المكتبة الإسكندرية ، دار أخبار اليوم ، عدد يونيو 1998،ص 25.

[2] عبد الرحمن صدقي، ألحان، دار المعارف، مصر، 1957، ص 282.

[3] مصطفى بيطام ، مرجع سابق ، ص 194 .

[4] - أبو نواس ، الديوان ، ص 230.

ثـــانيـــا: مصـــادر و أصول عرقية الحداثة الشعرية عند أبي نواس

1- مذهـب الشعوبيــة و ملامحــه في شعر أبــي نــواس

أ/ مفهومهـــا لغـــة :

جاء في لسان العرب لابن منظور عدة تذليلات في مادة " شعب " و هي كالأتي : " فالشعب : معناه الجمع و التفريق ،و كذا الإصلاح و الإفساد ،ضد و قيل في حديث ابن عمر و شعب صغير من شعب كبير أي إصلاح قليل من فساد كثير و الجمع شعوب"[1] " والشعوب فرقة لا تفضل العر ب على العجم .

و أورد أيضا أن : الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب و لا يرى لهم فضلا على غيرهم ،و و الشعب :هم القبائل ،و الشعب أكبر من القبيلة وهو مشتق من شعب الرأس " [2].

ب/ مفهـــــومهـــــا اصطلاحـا:

تعد الشعوبية حركة عدائية و عنصرية، انطلقت منذ العصر الأموي، عندما أسرف العرب في احتقار الأعاجم ،وعدم تطبيقهم لنظرية المساواة التي جاء بها الإسلام، بين العرب و الموالي ، وقد تجلت معالمها بوضوح في العصر العباسي خاصة لدى العنصر الفارسي ،و كان في البداية يراد بها التسوية بين العرب و العجم ففي العصر الأموي كان الموالي يطالبون بالعدالة الاجتماعية مع العرب حقوقا وواجبات ، غير أنها تحولت إلى دعوة جامحة في العصر العباسي و تجاوزت ذلك إلى التفاخر بأصولهم الغير عربية ، والحط من الجنس العربي و تحقيره مع سلبهم فضائلهم، و النيل من دينهم .

---

[1] ابن منظور ،لسان العرب ، تحقيق خالد رشيد القاضي ،ج 7،ط1،دار صبح بيروت ، لبنان ،2006 ، ص 111.

[2] م ،ن ص نفسها .

وما عزر قوتهم وزاد من نفوذهم في تلك الفترة أنهم كانوا أصحاب شأن عظيم في الدولة العباسية التي فتحت لهم الأبواب على مصر اعيها، و أعطتهم كامل الحرية في التصرف بشؤون البلاد .

و قد أفرد الجاحظ للشعوبية بابا سماه كتاب العصـــــا، في كتابه البيـــــان و التبيين و يقول :" و نبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ،و ما يتجلى باسم التسوية و بمطاعنهم على خطباء العرب :بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام ....." [1] .

ويرى الجاحظ أيضا أن " الشعوبية نسبة غير قياسية إلى" الشعوب " وهم فريق لا يرون للعرب فضلا على غيرهم ، بل يبالغون في ذلك فيذهبون الى تنقصهم و الحط من قدرهم حتى ألفوا في ذلك الكتب .وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل ،وقد قيل أن القبائل العرب والشعوب و العجم. " [2]

و ترى الجاحظ في قوله هذا يورد ترادفا و تضادا في مفهوم الكلمةفالعبار ة الأولى قد تحمل فيها لفظة التسوية و لفظة الشعوبية على معنى واحد.

أما العبارة الثانية، فمبلغها كان واضحا و تعني التعصب للعرب.

إذن هناك جماعة ترى بأن، الشعوبية هي الدعوة إلى التسوية بين العرب و العجم و جماعة أخرى، ترى بأن الشعوبيين من كانوا يتعصبون للعجمية ،و يفضلون غير العرب على العرب تعصبا و مغالاة.

---

[1] أبو عتمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، ج3 ،ط3 مطيعة المدني مكتبة الخانجي،1998،ص 5 .

[2] م ن، ص ن .

أما أحمد أمين فيرى بأن الشعوبية نزعة و يقول: " إنها نزعة أكثر منها عقيدة فهي أشبه بالأرستقراطية بل هي في الحقيقة نوع من الديمقراطية تحارب أرستقراطية العرب".[1]

وقد ذكر أحمد أمين أن العصر العباسي كانت تسوده ثلاث نزعات، هي قضية المفاضلة بين العرب و غيرهم من الشعوب .

فالنزعة الأولى: ذهبت إلى أن العرب خير الأمم و لهم في ذلك حجج وحجتهم أنهم عاشوا حياتهم متمتعين باستقلالهم، فهم في جاهليتهم جاورا الفرس و الروم و كلتاهما دوخ البلاد و أسس ملكا عظيما ،جند وعدة لا تحصى.[2]

و النزعة الثانية : تذهب إلى أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم و الناس كلهم من طينة واحدة و سلالة ور جل واحد[3].

بينما النزعة الثالثة : تميل إلى الحط من شأن العرب ،و تفضيل غيرهم عليهم و حجتهم أن العر ب ليس لهم ميزة على أية أمة ، فجذب في الأرض و بداوة في العيش [4]، و من هذا نفهم أن تسمية الشعوبية قد أطلقت على النزعتين الأخيرتين، و ربما كان أحق الناس بهذه التسمية الطائفة الثانية، لأنهم يقولون بالشعوب أي لا فر ق بين الشعوب من عرب و عجم في الجنس و الشرف وهي مأخوذة من المساواة بين الشعوب.

[1] –عز الدين اسماعيل، الأدب العباسي ، الرؤية و الفن، دار النهضة العربية ، بيروت ،1975،ص 107 108.
[2] -أحمد أمين ، ضحى الإسلام،ج1، ط1،مدرسة الطبع و النشر ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ص .49
[3] –م ن ، ص ن.
[4] –م ن ، ص ن.

ج- أسبـــاب ظهور النزعة الشعوبية في العصر العباسي :

شهد العصر العباسي تقلبات سياسية وفكرية كان لغير العرب دور كبير في إذكائها ،حيث كان لها تأثير بارز في ظهور التعصبات العرقية والعنصرية ، على درجات متفاوتة بين القوة والضعف،" و دور كبير في نشوب خصومات سياسية داخل أركان بيت الخلافة، و ماكادت تغيب شمس ذلك القرن حتى نشبت فتنة كبرى استبيحت فيها عاصمة الخلافة ، ظاهرها خلاف الحكم بين الأمين و المأمون و باطنها فتنة عرقية بين العرب و الفرس"[1]، وقد صاحب ذلك إتاحة الفرصة أمام غير العرب للتعبير عن رأيهم ، في هذه القضية والدفاع عن مبدأ المساواة بين الناس بقوة وحرية[2].

خاصة الفرس منهم ، الذين كانوا يفصحون للدولة العباسية مشاعر الود والوفاء ويخفون مشاعر أخرى ملؤها البغض والاحتقار.

وقد تحدث الشيخ أحمد الواتلي في كتابه –هوية التشيع– عن الشعوبية وقسم أسباب نشوئها إلى قسمين :

– القسم الأول فعل والثاني رد فعل وهذا الأخير ردة الفعل، هو أن العرب كانوا في الجاهلية ممزقين لا تجمعهم جامعة ، ثم جاء الإسلام ووحدهم ، فأوطأهم عروش كسرى وقيصر ومن الحق أن يشار إلى أن فعل العرب هذا بالموالي ، هو ردة فعل لما كان يعامل به العرب من قبل الروم والفرس.

[1] - صلاح الدين احمد درواشة ، الرؤى و الادوات عند شعراء القرن الثاني الهجري ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، 2008 ص9.

[2] - جعفر مرتضى الحسن العاملي ،سليمان الفارسي ، مؤسسة النشر الإسلامي رقم 1409 إيران ص112.

– والقسم الثاني: الذي هو الفعل امتداد للعصور السالفة ، عندما كان العرب أيام الأكاسرة والقياصرة ليس لهم شأن يذكر ، وقد اختفت هذه النظرة بفعل عوامل كثيرة،وساعد على هذا أن الموالي من أمم ذات خلقية حضارية ، فكان أن نبغ مجموعة من الشعوبيين تولوا مناصب حساسة في الدولة ، فلعبوا دورا كبيرا في أبعاد المجتمع العباسي.[1]

وهناك سبب آخر وجيه لقيام النزعة الشعوبية، هو أن الفرس كانوا يحلمون باستعادة دولتهم واستقلال أمتهم ، وا ٍحياء حضارتهم ، " ولهذا كان لهم الفضل الأكبر واليد الطولى في قيام ملك بني العباس ، ونفوذ كبير ومقام خطير في دولتهم" .[2]

د-مظـــاهـــر النزعـــة الشعوبيـــة في المجتمع العباسي :

تأثرت البيئة العباسية بما دخل عليها من ثقافات وعادات فارسية ، فعدلت من حياة البداوة والجفاء إلى حياة الرخاء والبذخ ، ولعل للفرس الشعوبيين نصيب من ذلك والأمور المستحدثة التي عرفتها الحياة الاجتماعية والأدبية. وكان من مظاهرها أن انتقل مركز الخلافة إلى بغداد* ، لقربها من خراسان* موطن الدعوة[3] ; لقد جاء موقعها إيذانا بقيام عصر جديد[4] ومن ثمة خطى الفرس خطوة كبيرة في قصور الخلفاء ، فقد استلموا مقاليد الأعمال ، وشؤون

---

[1]-أحمد الواتلي ، هوية التشيع ، مركز الأبحاث العقائدية ، سلسلة كتب العقائد العراق ، ص207–208.

[2]–عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي الأول ، ط1 ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، لبنان ، ص12.

* بغداد: وأصل تسميتها أن أمير المشرق الذي أهدى إلى كسرى ملك الفرس ، أقطعه كسرى أرضا سماها بغداد، فبغ: تعني بالفارسية صنم ، وداد: عطية ، أي هدية كسرى المعبود ، وسماها أبوجعفر المنصور ، بمدينة الإسلام ، كامل الشناوي ، مرجع سابق ، ص81.

* خراسان :بلاد واسعة ، وحدودها تمتد من العراق إلى الهند ، ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ص350.

[3]– عبد المنعم خفاجي ، مرجع سابق ، ص18

[4]– د.أحمد شوقي العمرجي ، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية ،ط1، مكتبة المذبولي ، ميدان طلعة حرب كلية الآداب ، جامعة أسيوط، القاهرة 2000، ص162.

الدولة" وأصبح الوزير منهم قائما مقام الخليفة في كل الشؤون الحربية والمالية ويكتب الرسائل للجهات المختلفة " .[1]

كما استطاعتأسرة البرامكة أن تحتفظ بالوزارة لأعوام طويلة وتنشر التقاليد الفارسية في الحكم ، وتنقل آداب قومهم إلى اللغة العربية. ، ثم إن الفرس من قديمهم ميالون إلى الإفراط في الشراب والغناء ،" وقد أخذ العباسون ذلك عنهم وراحوا يختلفون معهم بشربها في أعيادهم الشعبية كالينروز،* المهرجان**"، وذلك ما يبرر لنا تقديس أبي نواس للخمرة و إحترامه و إعجابه بحضارة أجداده.

ثم ما لبث الفرس أن شعروا بحريتهم، حتى غالوا في ممارسة سفالتهم، فقاموا بنشر مجونهم وسط الأمة الإسلامية، ولعل مجتمعا عربيا لم يعرف اللهو و المجون كما عرفه المجتمع العباسي، هذا الأخير الذي انسلخ عن قيمه و تقاليده الإسلامية ومضى يتلذذ بحياة اللهو و القصف، حيث ترى عامة الناس و خاصتهم مدمنون على شرب الخمر و الأنبدة، المسكرة " كنيد التمر ، الزبيب ، نيد الذرة ، الشعير وسيد العسل و التين".[2]

كما إنتشرت دور الخلاعة في كل مكان، و لم تكن تزخر بالخمر والغناء فقط، بل كانت تزخر أيضا بالغلمان و الجواري ، أبو نواس كان من المترددين على هذه المراتع ومن الباحثين عن المتعة و النشوة في الخمرة و نساء الحانات ، و من الطبيعي أن تكون

---

[1]– أحمد أمين ، مرجع سابق ، ص160.

* -النيروز:اسم فارسي الاصل من الاعياد الشعبية الكبرى في ايران ،و يعتقد بعض الناس أن النوروز ، أي اليوم الذي ملك فيه الله تعالى النور ، الالوسي محمد شكري البغدادي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، ج1ط3، دار الكتب العربي ، القاهرة 1342.

** -المهرجان : يأتي هذا العيد بعد النيروز بحوالي مئة و اربعة و ستين يوما و هو السادس و العشرين من تشرين الاول من شهور السريان ، و يعتقد الفرس أن انه لما مات ملك يسمى "مهر "في هذا الشهر سموا ذلك اليوم بمهرجان أي نفس مهر ذهبت ،م ن ص ن .

[2] –أحمد أمين ،مرجع سابق، ص ص 119 - 120 .

حياته و حياة العباسيين ماجنة مع هؤلاء القيان و الجواري ، ليس فيها طهر سوى الشذوذ و النخاسة.

د. ملامح الشعوبية الأدبية في شعر أبي نواس :

ظهر جيل ثان من الشعوبيين في العصر العباسي بعد بشار بن برد ، و لعل أبا نواس كان خير من مثل هذا الجيل الثائر ، و أغلب الظن أن ثورته لم تكن ثورة جنسية ، بل كانت ثورة حضارية من نوع خاص ؛ إنها في حقيقة الأمر ، إعجاب بالحضارة الفارسية ، و ما اتصل بها من لهو و مجون ، " و بما أن البيئة العباسية قد تفتحت على عوالم جديدة ، لز م أن تجدد في نمط حياتها و أدبها،و ذاك ما دعا إليه أبا نواس ، و تبدو هذه النظرة التي جاء بها محقة في جوهرها غير أنه أشبعها زراية على العرب و أصلهم. "[1]

و لقد استوعب أبو نواس جميع التراث الشعري في عصره ،وحاول أن يبعث فيه روحا جديدة ،بقدر ما سمحت له قدر ته الفنية البارعة ، و صدق تجربته الحياتية . وأول مظهر حداثي تجلى في شعره ، ما نشاهده من نزعة شعوبية ضد العرب :

1_ نعـــي الطلل على الأعـــراب :

إن أكثر شيء أعابه أبا نواس على العرب ، بلادتهم في تقديس الطلل الذي تعفى وانمحت معالمه ، لقد رفضه رفضا مطلقا ، وثار على نائحيهم داعيهم إلى العدول عنه في أشعارهم و حياتهم ، وتغيير نظرتهم المتشائمة تلك ، لما حولهم والركض وراء ملذات الحضارة الوافدة ، لأن البيئة الجديدة في رأيه تقتضي أدبا وشعرا جديدين ، وهكذا لزم على العرب

[1] – إليا الحاوي ، مرجع سابق ، ص 227 .

الانصراف عن حياة الجمود تلك كالوقوف على الأطلال ،والدمنة البالية ومسألتها، لأنه لا جدوى من ذلك .

وقد ابتكر أسلوبا بارعا ، للحط من شأن العرب وتقاليدهم و لعل القصيدة الآتية هي أدل قصائده على تلك النزعة التي استولت على شعره وهاك مقتطفا منها:

دع الأطـــلال تســـفيها الجنـــوب وتبلـــي عهـــد جـــدتها الخطـــوب
وخـــل لراكـــب الوجنـــاء أرضـــا تخـــب بهـــا النجيبـــة و النجيـــب
بـــلاد نبتهـــا عشـــرو طلـــح؛ وأكثـــر صـــيدها ضـــبع وذيـــب
ولا تأخـــذ عـــن الأعـــراب لهـــوا ، ولا عيشـــا فعيشـــهم جـــذيب
دع الألبـــان يشـــربها رجـــال، رقيـــق العـــيش بيـــنهم غريـــب
إذا راب الحليـــب فبـــل عليـــه ، ولا تحـــرج فمـــا فـــي ذاك حـــوب
فأطيـــب منـــه صـــافية شـــمول ، يطـــوف بكأســـها ســـاق أديـــب[1]

إذا لا جدوى تذكر من مناجاة الأطلال ،فتركها وهجرها أحسن من بكائها ، كما أشار لذلك أبي نواس في مطلع القصيدة ، و لا يلبث أن تراه يضع أصبعا في كل مسألة وها هو ذا يتعرض لتقاليد العرب البالية ،" ويستغرب من هؤلاء القوم الذين لا زالو متمسكين بالخيمة والناقة، والخشونة والقساوة ، في زمن الخصب والنماء، فيلبسون زيا غير زيهم ويتحدثون بلسان غير لسانهم، ويؤرخون لفترة لا يعيشون فيها[2] " ، ولابد لنا في هذه الدراسة أن نلتفت إلى معاني الزراية هذه التي لم يتردد أبو نواس عن هجاء العرب بها ما وجد لذلك حيلة أو سبيلا ، فقد أعاب عليهم طريقتهم في العيش ،وما يحيط بهم من أشجار ونباتات قاسية "كالعشر ،الطلح " وحيوانات متوحشة كالضباع والذئاب، التي تعيش على الفرائس في تلك البيئة المختلفة ، ولم

[1] –أبو نواس، الديوان ،ص ص35– 36 .

[2] –عبد الفتاح نافع، مرجع سابق ،ص 70.

يكتف عند هذا الحد ، فقد طلب من سامعه أن يتبول على الحليب ، وفي الواقع أنه ليس له ثأر على الحليب، بل جعل منها وسيلة يرمز بها للأعراب الذين لا يعرفون سوى شرب الحليب و اللبن داخل الخيم وكأنه أراد أن يتبول على الأعراب ليس إلا.[1]

وكانت هذه قصيدة نموذجية للدلالة على نزعتة الشعوبية التي تخللت شعره،فقد دعا في البداية إلى ترك الطلل ، ثم انصرف إلى وصف خمرته ، ومن هنا نفهم أن الشعوبية كانت جزءا يستحيل فصله عن خمرياته .

2. نبـــذ الحيـــاة العربية وتفضيل خمرته على حبيبتهم :

لطالما عير أبو نواس العرب ، واحتقر معيشتهم الجذبة ، وفاخر بنسبه هو على نسبهم وفضل بقية الأمم عليهم ، ويستمر في سخريته منهم ما وجد لذلك سبيلا،فمرة يستخدم معاني هجاء لاذعة ، وأخرى صورا ومشاهد كاريكاتورية ساخرة ، ومن جملة الأشياء التي عيرهم بها كانت العيش في الخيم ، وأكل الضب ، وشرب اللبن ، والصيد في المفارات الموحشة ، و إليك ما قال فيهم :

معـــاقرة المـــدام بوجـــه ظبـــي ، حـــوى فـــي الحســـن غايـــات ا هـــان
إذا مـــا افتـــر قلـــت: رفيـــق بـــرق، إمـــا اهتـــز قلـــت: قضـــيب بـــان
ألـــذ إلـــي مـــن عـــيش بـــواد مـــع الأعـــراب، مجـــذوب المكـــان
قصـــارى عيشـــهم أكـــل لضـــب ، وشـــرب مـــن حفيـــر فـــي شـــنان[2]

[1] – إليا الحاوي، مرجع سابق ،ص 247 .

[2] – أبو نواس ، الديوان ، ص 604 .

وتظهر شعوبية أبي نواس أحيانا في صورة خفية، فأحيانا تكون أصباغا فارسية يستغلها في فنه ليلونه بها ويؤكد صلته بالحضارة الفارسية ، وا ٍعجابه بها على نحو ما نرى في هذه الأبيات التي يؤكد فيها أن كؤوس الخمر صناعة فارسية أتقنتها أيدي الفرس الماهرة.

تـدار علينـا الـراح فـي عسـجدية، حبتهـا بـألوان التصـاوير فـارس
قرارتهـا كسـرى ، وفـي جنباتهـا مهـا تـدريها بالقسـي الفـوارس[1]

وهذه المقاطع تصور لنا بوضوح ثورة أبي نواس على القديم ،فهو فيها لا يبكي طللا ولا يقف على رسم إنما يبكي دار اللهو والمجون التي قضى فيها أياما ثم تركها ، وفي نفسه حنين في استعادة مثلها ، وقد كان ينعى على المقلدين من الشعراء وصفهم لحياة البادية ، وهم يعيشون في حياة حضرية بلغت ذروة في الرقي الاجتماعي والثقافي[2] ، كما راح يعلي من شأن حبيبته هو ويستهزئ بهند وسلمى وما سواهما من عرائس الشعر القديم قائلا:

لتلـك أبكـي ولا أبكـي لمنزلـة كانـت تحـل بهـا هنـد و أسـماء
حاشـا لـدرة أن تبنـى الخيـام لهـا وأن تـروح عليهـا الإبـل و الشـاء[3]

[1] –شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،ص 198 .
[2] –شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص199 .
[3] -أبو نواس ، الديوان، ص8.

ولقد عبر أبو نواس عن مجتمعه في صدق وصراحة، ومن الإنصاف أن نقرر أن شعوبيته وزندقته، لم تكونا من ذلك المذهب المتطرف الحاقد كالذي ظهر عند بشار بن برد*، وا ٍنما كانت لونا من العبث وضربا من العربدة والمجون .

*بشار بن برد:و يلقب بالمر غث "1" ، هو مولى بن عقيل ، وقيل أصله فارسي ولم يجتمع شعره لأحد ، ولا احتوى عليه ديوان ، وقد رأيت منه نحو ألف ورقة متقطع ، وقد اختار شعره جماعة. ابن النديم، مصدر سابق ص181.

"1 "- المرغث :التي ترضع ولدها ويقال لها رغوث ، أبو العباس المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، مكتبة المنشأة الإسلامية ،ص81 .

الفصل الثاني :

ملامح الحداثة في شعر أبي نواس

أولا : فنيا

1. الثورة على الطلل
2. التغني بالخمرة
3. الغزل بالغلمان

ثانيا : حضاريا

1. ثقافة المدينة
2. خمرة الأديرة

عاصر أبو نواس فترة التجديد و الإنتقال الضخمة، التي شهدها العصر العباسي و عايش ذلك الصراع المرير بين العقليتن العربية و الأعجمية، فقديمة رافضة لكل جديد متمسكة بكل ما هو موروث خشية عليه من الضياع، و أخرى وافدة تدعو لكل ما هو جديد متجاوزة كل ماهو عتيق، حتى لو كان له سند من الدين أو القيم المورثة.

ولقد امتدت حركة التحول للشعر العربي، فتجاذبها طرفان متناقضان هما: قوة التقليد وقوة التجديد، فالأول يريد أن يكون الشعر شهادة للماضي، و لا خروجا عنه ، من باب محاولات جماعية للحفاظ عليه لا على أنه ملك للشعراء، و الثاني يريده شهادة للحاضر القائم على تجربة شعورية خلاقة لا على جمود الفكر و العاطفة.

" فالقدماء نظروا إلى عمود الشعر نظرة إجلال و تقديس ورأوا الخروج عنه بدعة وضلالة، عكس المحدثين الذين لم يتمسكوا بالأصول ولا بالقرآن فهم ثائرون على الموروث منقطعون عن الإحساس بالماضي العريق"[1].

و قد عاش أبو نواس فترة الصراع هذه ، وكان أكثر المناصرين للحضارة الوافدة وأشد المحتقرين للحياة العربية "، فالشاعر كان يميل إلى الفرس لأن أمه فارسية، ثم إن مظـاهر الحضـارة الجـديدة قد أغرتـــه و ذهبت بعقله وأثـــرت فيه إلى حد بعـيد في حياته اليومية "[2].

[1] – عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر ، ط1 ، دار جرير للنشر و التوزيع عمان ، الأردن، 2008، ص67.

[2] – مصطفى بيطام ، مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول (132 هـ – 232 هـ) جامعة منتوري ، قسنطينة ، ص 413-414.

وهكـــذا اتجه إلى الشعر يسكب فيه روحه و يصب فيه ثورته وتمرده على القديم "فالفنان العظيم في نظره،هو الذي يحطم الشكل و العلاقات و التراكيب التي فرضها المجتمع ويبني شكلا جديدا بأسلوب جديد مستوحى من تجربته و رؤيته الخاصة"[1].

ويرى بأن أداته في ذلك هي اللغة ، إذ يفصح بها عن كل ما يحسه وما يجول في فكره من أفكار وصور و أخيلة،" فالشعر لغة الحياة في شتى معانيها و الحياة بحر واسع ينطوي على الغث والسمين و الكريم والمهين"[2]

1-الثـــورة على الطلـــل:

" خل العريب وبؤسها"

أعـــدل عن الطلل المحيل، وعن هوى نعت الديـــــار، وصف قـــدح الأزند

ودع العريـب، وخلهـــا مع بؤسهـا لمحـــراف ألف الشقـــاء مـــزند

وأقصـــــد إلى شط الفرات، وعاطني قبل الصبـــــاح، وعاص كل منفد

صفـــراء، تحكـــي البتر، في حافتها عقـــد الحبـــاب كلؤلـــؤ متبـــدد

فـلأشربن بطـــارف وبتـالـــــد بنـــت الكـــروم برغم أنف الحسد

كـــــرخيـــة كصفاء وجه مشوقة مرهـــاء، ترغـــب عن سوار الإثمد

حنت مكـــاتمة، فبيـــتن جفونـــها رقـــراق دمع فـــاض أو فكأن قد

وتخـــاف تحدره فترفـــع جفنهـــا فالـــدمـــع بين تحـــدر و تصعد[3]

---

[1] – عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر ،ص67.

[2] – حنا الفاحوزي ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ط1، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص704.

[3] – أبو نواس ، الديوان ، ص189.

***- دراسة تحليلية لقصيدة "خل العريب و بؤسها"كملمح حداثي فني في شعر أبي نواس:**

سلك أبو نواس مسلكا بار عا، في الحط من شأن العرب، وعادتهم وظل ينقاد بروحه المتمردة، إلى بناء أسلوب جديد يهدم به الأسلوب القديم، من وقوف على الأطلال وبكاء على الدمنة ، ووصف النوق و الشاه، و القفائر، تؤاه يهز أ بالشعراء الذين يقفون على الديار ويبكون رسومها البالية، ويستنطقون أثارها قائلا:

أعـــدل عن الطــل المحيل، و عن الهوى نعت الديار، ووصف قدح الأزند

ودع العريـــــــب، وخلهـــا مع بؤسهـــا لمحـــــــارف ألـــف الشقـــاء مزند[1]

و هذه الأبيات في حد ذاتها تعد ثورة على المقدمة الطللية و على طريقة القدماء في النظم ، وفي نفس الوقت دعوة إلى التجديد ، والتخلص من عبئ الماضي و رواسبه إنه يدعو العرب فيها إلى ترك الأطلال، كونها رمز ا للتخلف ، و رمز لحياتهم الضاربة في متاهة صحراهم القاحلة.

وفي المقابل تراه يشيد بما تزحز به ضواحي الفرات من حانات و خمارات في غاية المتعة و الحسن ، ويقول متلهفا:

أقصـــد إلـــى شط الفرات، وعاطنـــي قبـــل الصبـــاح ، وعـــاص كل منفد[2].

[1] – مرجع سابق ، ص 189.

[2] – م ن ، ص ن.

إن أبا نواس لا يرى متعة في حياة العرب البالية المتمسكين أبدا بنظرية الفناء و الغافلين عن عالم الجمال و الحس، بل إن شخصيته الحية الباحثة عن المتعة لا تنسجم مع جفائهم ويقول :

صفراء، تحكي التبر، في حافتها عقـــد الحبـــاب كلؤلـــؤ متبدد[1].

ومن الواضح أن هذه هي المتعة التي يقصدها أبا نواس، و هو على ديدنه يعظمها و يعلي من شأنها، فهي ليست مجرد شراب عادي بل" عقد حباب كلؤلؤ متبدد" و من المبالغة الفنية أن يصف شعاعها ، و لمعانها بعقد اللؤلؤ لكن مادام بصدد تحقير طريقة العيش البدوية للعرب فإنه فعل وغالى كثيرا بفعلته.

ثم يقسم بشربها بطارف أو بتالد برغم من يلومه فيها قائلا:

فـــــلا أشربـــــن بطـــارف وبتالد بنت الكـــــروم برغم أنف الحسد[2].

و في هذا البيت تظهر لنا مزاوجة بين القديم و الجديد، ونقلة حضارية متميزة فقد جاء أبو نواس على ذكر" الطارف" و التالد"، فالتالد هو المال القديم أي النقد الرنان من ذهب أو فضة كان، الذي اشتهر به العرب مند بواكير هم الأولى، والطارف هو المال الحديث " أي الأوراق النقدية " التي لم يبدأ صكها إلا في العصر العباسي و هو في هذا الشأن يفاضل بين شرب الخمرة بالمال العتيق أو بالمال الحديث و إن ذلك لدليل على قيامه بكل شيئ من أجلها.

[1] – مرجع سابق ، ص 189.

[2] –م ن ، ص ن.

ومن شدة افتخاره بخمرة الكرخ يقول فيها :

كـــرخيــة كصفـــاء وجـــه مشوقـــــة مـــرهـــاء، ترغـــب عن سواد الإثمد[1].

وهذا البيت إشارة لنوعية الخمر المتلزة التي يشربها في حانة الكر خ فهي صافية، غير مكحولة ، و لأبي نواس أشعار كثيرة في هذا المعنى.

ثم ينتقل إلى و صفها بصفات الأنثى وهي تتألم باكية،خوفا من لهيب النار بقوله:

حنـــت مكـــاتمـــة ، فبين جفونهـا رقـــــراق دمع فـــاض أو فكأن قد[2]

ثم يتحدث عن تأثيرها و مفعولها القوي الذي يجعل الدمع بين تحدر و تصعد قائلا:

و تخـــاف تحـــدره فترفـــع جفنها فـــالدمـــتع بين تحدر و تصعد[3]

2 -التغنـــي بالخمـرة:

أ- تأثير الفلسفة في شعره و نفسيته:

دع عنك لومي

دع عنك لومي فإن اللوم إغـــراء و داوني بالتي كانت هـــي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتهـا لو مسهـــا حجر مسته ســراء

من كف ذات حر في زي ذكـــر لها محبـان لوطي و زنـــــــــاء

قامت بإبريقها و الليل معتكـــر فلاح من وجهها في البيـــت لألاء

فأرسلت من فم الإبريق صافيـــة كأنما أخذهـــا بالعيـــن إغفـــــاء

---

[1] -مرجع سابق ، ص 189.

[2] - م ن ، ص ن.

[3] - م ن ، ص ن

رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة، و جفا عن شكلها المـــاء

فلو مزجت بها نورا لمازجهـــا حتـــى تولـــد أنـــوار و أضـــواء

دارت على فتية دان الزمان لهـم فما يصيبهم إلا بما شاؤوا

لتلك أبكي ، و لا أبكي لمنزلـة كانت تحل بها هند و أسماء

حاشا لذرة أن تبنى الخيام لهـا و أن تروح عليها الإبل و الشاء

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا و غابت عنك أشياء

لا تحضر العفو إن كنت امرأ حرجا فإن حظركه في الدين إزراء[1]

***دراسة تحليلية لقصيدة "دع عنك لومي "كملمح فني حداثي في شعر أبي نواس**

جاءت هذه القصيدة كرد علي ابراهيم النظام شيخ إحدى الفرق المعتزلة،هذا الأخير الذي كان قد لامه في شرب الخمر و ر آها سقما و داءا ،عكس أبي نواس الذير آى فيها دواءا و صحة. لكن المثير للدهشة و التحري هو كيف يكون اللوم ؟و كيف للمرء أن يتداوى بدائه؟و لنتمعن قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغـــراء و داوني بالتي كانت هـــي الداء[2]

ربما كان هذا البيت الذي بين أيدينا، قائم في أصله الغرابة ، إنه أمر جديد أتى به النواسي، لم نكن نلمس مثله في الشعر الخمري القديم، ألا و هو تحويل الظاهرة المادية إلى واقعة ذهنية ، و تبدو لنا أثار النزعة الفلسفية على شعره في قوله:"داوني بالتي كانت هي الداء

[1] – مرجع سابق ، ص 7– 8.

[2] – م ن ، ص7.

"و ربما لجأ الشاعر إلى هذا النوع من البديع ليأثر على القارئ بالمعاني المدهشة و لما كانت الخمرة بالنسبة للنظام سقم ، فهي لأبي نواس صحة، و هذا معنى يستحيل تحقيقه في الواقع.

و إن أخدنا لفظة صفراء في قوله:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتهـا لو مسهـا حجر مسته سـراء[1]

فإننا تفهم معناها دون أن تفهم قصدها،فهي لفظة علمية تقريرية تصور حقيقة الخمرة دون أن يكون لها ضرورة ، فالخمرة عموما على اختلافها تسكر الشخص و تخدرة ، و تذهب بعقله إلى عالم النشوة و الغبطة أين لا تكون فيه هموم ولا أحزان ،فلا فرق إن كانت هذه الخمرة صفراء أم بيضاء أوحمراء، ماكانت غايتها واحدة.غير أن أبا نواس قد ألم بها على الرغم من ذلك،فهي جانب نزع إليه لم يالفه الشعر العربي منذ الجاهلية و لا يرى حرجا قي نقل الإشياء كما ترى بالعين و كما يراها الناس ، إذن فقيمة الشعر تكمن في تطابق الظاهرة الموصوفة مع الظاهرة الواقعية ، وقد أشبعها النواسي وصفا .

كما ألم بوصف تأثيرها في شاربها و ليس ذلك فقط، بل لو مست الحجر لبعثت فيه الحيوية و الشعور بالفرح،كما في قوله :" لو مسها حجر مسته ضراء ".

و بعدما تحدث عن تأثيرها في عقل شاربها ، ينتقل إلى وصف ساقيتها و من المبالغة الفنيةأن يصفها بقوله :

قامت بإبريقها و الليل معتكـر فلاح من وجهها في البيـت لألاء[2]

[1] –المرجع السابق ، ص7.

[2]– م ن، ص ن.

لقد ألبسها الأسطورة الكاذبة ، إذ جعل لها وجها مشرقا متلألأ مشعا بالأنوار و الأضواء بينما المعنى الحقيقي هو أن الوجه الجميل يكون كثير التألق .

ثم نراه يستغل حواسه أيضا في تذوق الخمرة، و يقول :

فأرسلت من فم الإبريق صافيــة كأنما أخذهــا بالعيــن إغفـــــاء[1]

فهو لا يكتفي بآلائها في المذاق بل يذهب إلى جانب آخر من اللذة هي "تذوقها بالعين "قبل أن تنزل الجسد .إنه يتأملهافي الكأس و يطيل في ذلك ، يبصرها بقدر ما يشعر بها و هذا المعنى جديد في روحه ، ثم أنه يتمتع بلذتين أولهما لذة المذاق التي تصاحب نشوة الإغفاء.

و ينتقل إلى وصف شعاعها بقوله:

رقت عن الماء حتى ما يلائمهـا لطافة، و جفا عن شكلها المـــاء

فلو مزجت بها نـورا لمازجهـــا حتـــى تولـــد أنـــوار و أضـــواء [2]

نفهم من هذا البيت أن أبا نواس يفضل الخمرة على الماء ، ويساوي الخمرة بالنور لأن روحها ألطف من روح الماء ، فإن هي مازجته فقدت لونها وطعمها و شعاعها و إن زاوجت النور أعطت لنا أضواء و أنوار و هذه فلسفة أخرى فيما أتى به أبو نواس.

ولنتأمل قوله في الأبيات التالية:

دارت على فتية دان الزمـان لهـم فمـــا يصيبهم إلا بما شاؤوا[3]

[1] – مرجع سابق، ص7

[2] – م ن ، ص ن.

[3] – م ن ، ص ن.

و هنا يتعرض النواسي لمسألة القدر في الدين عند الفرق الكلامية،أي أن هؤلاء الفتية هم من يتحكمون بمصيرهم كما شاؤوا ، و مبلغها أن الإنسان قادر على خلق فعله و تصرفه بنفسه و ليس مجبرا. و ربما من الأسباب التي جعلته يأخذ بهذه النظرة ويستثمرها في شعره أنه كان كثير التردد على دور العلم و المساجد و تتلمذ على يد المعتزلة ،و ذلك ما عمق أفكاره و أغناه بصور التعبير التي لم تكن ميسرة لمن سبقه .

و ما فتئ أن يؤمن بالفكرة السابقة حتى راح يدافع عن الفرقة التي تقول، بأن الله لا يجازي الإنسان على خطاياه مباشرة ، بل يأجل ذلك إلى يوم القيامة ، و يرى بأن التحرج بالعفو إنما يزري بالدين و يحقره في قوله :

لا تحضر العفو إن كنت امرأ حرجا فـــإن حظركـــه بالدين إزراء[1]

وهكذا إثرت الفلسفة و الدين و الفقه في شعر أبي نواس و كانت هذه القصيدة نموذج خالص عن ذلك.

أ-الخمـــرة و البعد الديني:

-آلاء الخمر -

أثـن على الخمـــر بآلائهـــــا و سمهـــا أحسن أسمائهـــتا

لا تجعـــــل الماء لها قـــــاهرا، و لا تسلطهـــــا على مائهـــا

كرخيـــــة، قـــــد عتقت حقبة ، حتى مضى أكثـــــر أجزائهـــا

فلـــــم يكـــد يـــدرك خمارها منها سوى آخر حوبـــائهـــا

[1] – مرجع سابق ، ص 8 .

دارت ،فأحيت ،غير مذمومـــة ، نفـــوس حسراها و أنضـائها

و الخمر قد يشربهـــا معشـــر ليســـــوا، إذا عـدوا بأكفائها[1]

استعمل الشاعر طريقة جديدة في التعبير ،تمر عبر المزاوجة بين عالم المادة و عالم الروح، و يتجلى ذلك في جملة من التعبيرات في قوله :

أثـــن علـــى الخمـــر بآلائهـــا و سمهـــــا أحسن أسمـــائهـــا[2]

و قد راح يعلي و يعزز من شأنها – **الخمرة** – على أنها عنصر من عناصر الحياة الجديدة ،ويقيمها مقام الطول من باب تعصبه على العرب ،إذ لم تعد مجرد شراب عادي فحسب ، بل أضحت إلهة تستحق أن تعبد و تقدس، و قد جعل لها أسماء حسنى ،و نعما و وصفها بصفات الذات الإلهية التي تجل عن الشبه و المثل .

و أضفى عليها هالة قدسية ترفعها فوق معبودات الناس أجمعين ،فوق الله و حتى فوق النار التي كان يعبدها الفرس .

و يقول طه حسين في هذا الصدد معلقا على البيت الأول، من قصيدة "ألاء الخمر":"أليس الشطر الأول منه تسبيح للخمر؟ أليس الشطر الثاني منه تقديس للخمر ؟أليس في البيت على سهولته و براءته من ألفاظ المجان أشد ألو ان المجون ؟أليس فيه استهزاء بالدين و السخرية منه؟"[3].

---

[1] – مرجع سابق، ص8.

[2] –م ن ،ص ن.

[3] – طه حسين، حديث الأربعاء ،ج2دار المعارف، مصر 1965،ص87.

أما في البيت الثاني فقد أراد أن يخبرنا بالعداوة الشديدة القائمة بين الخمرة و الماء و يقول أمرا محذرا :

لا تجـعل المـــــاء لهـــا قـــاهرا و لا تسلطهـــــا على مائهـــا[1]

إنه يخاف على خمرته، أن تصاب بأي أذى ، وقت مزجها بالماء ،لأنه ربما لو حدث ذلك لفقدت مفعولها و شعاعها ،لذا فإننا نفهم من هذه الأبيات ،أن أبا نواس صار يفضل الخمرة على الماء لأن روحها ألطف من روح الماء نظرا لقيمتها و قداستها عنده .

و يقول أيضا:

كـــــر خية عتقت حقبـــة، حتـــى مضى أكثر أجزائهـــا

فلـــم يكـــد يدرك خمارها منهـــــا سوى آخر حوبائها [2]

و هنا يصف لنا وقع سحرها في نداماها ، بعدما يشير إلى قدمها و فترة مكوثها في الدن ، فهي من تنزع الهم و الغم عن قلوبهم ،و و تسر النشوة و الفرح في نفوسهم ،و كل ذلك من نعمها و جودها و يبالغ في وصف كرمها إلى أن يقول :

دارت ،فأحيت ، غير مذمومة نفوس حسراها و أنضائها [3]

و لما كانت الخمرة كريمة القدر ، جليلة الشأن ، كل هذا الكم ،راح يقوم بكل شيء من أجلها ،إلى أن أقام طقوسا لعبادتها و تكريمها ، و سعى إلى إبعادها كل من لا يستحقها و يبين لنا ذلك في قوله :

---

[1] – مرجع سابق ، ص 8.

[2] –م ن، ص ن.

[3] – م ن ،ص ن.

و الخمر قد يشربها معشـــر لبيو إذا عدوا، بأكفائهـــا. [1]

إذا فمن لا يقدسها و يضعها مكان الله، لا يستحق أن يقترب منها ،لأنه لو فعل فسيدنسها، ويكون قد ارتكب إثما فظيعا على حد اعتقاده .

إذا فشرب الخمرة لديه كان وجها من وجوه التصرف الواعي الذي يتصدى به للآخرين مظهرا بطلان عقيدتهم ،ثم إن سكرته جاءت نتيجة نظرته للحياة ،و القلق الوجودي الذي كان يعانيه،و الهز ء الذي يلتفت به إلى تعاليم الدين ،ليس في الواقع سوى مظهر يدل به على عدم إيمانه لما يدعو إليه ، فهو لا يدرك سر الكون ،إنه يشك بالدين الحقيقي ليعلن دينه ،لذلك يتلهى بشرب الخمر

ب-الخمرة كائن حي:

-إسقني العربا -

يا خاطب القهوة الصهبـاء ،يمهرهـــا بالرطـل يأخـــذ منها مـــــلأه ذهبـــا
قصـــرت بـــالراح، فأحـــذر أن تســـمعها فيحلـــف الكـــرم أن لا يحمـــل العنبـــا
إنـــي بـــذلت لها،لمـــا بصـــرت بهـــا ، صـــاعا مـــن الـــذر و اليـــاقوت مـــا ثقبـــا
فاستوحشت،و بكت في الدن قائلة : يـــا أم ويحـــك ،أخشـــى النـــار و اللهبـــا
فقلـــت :"لا تحذريـــه عنـــدنا أبـــدا" قالت "و لا الشمس" قلت "الحر قد ذهبا"
قالت "فمن خاطبني هذا ؟ "فقلت "أنا" قالت "فبعلي ؟" قلت الماء إن عذبا "
قلـــت "القنـــاني و الأقـــداح ،ولـــدها فرعـــون "قالت"لقـــد هيجـــت لـــي طربـــا"
لا تمكننـــي عـــن العربيـــد ،يشـــربني، و لا اللئـــيم الـــذي إن شـــمني قطبـــا
و لا المجـــوس، فـــإن النـــاررربهم، و لا اليهـــود ،و لا مـــن يعبـــد الصـــلبا
و لا الســـفال الـــذي لا يســـتفيق،ولا غـــر الشـــباب، لا مـــن يجهـــل الأدبـــا

[1]-مرجع سابق ،ص 8 .

و لا الأراذل، إلا مـــــن يـــــوقرني مـــن الســـقاة، و لكـــن إســـقني العربـــا
يـــا قهـــوة حرمـــت إلا علـــى رجـــل أثـــرى ،فـــألف فيهـــا المـــال و النشـــبا[1]

***–دراسة تحليلية لقصيدة" إسقني العربا" لأبي نواس ، كملمح حداثي فني في شعره**

لقد أضحت خمرة أبي نواس ، مخلوقا ذا شخصية تتآلف بذاته، وتتصل بأعمق أسرار نفسيته، وبطريقة عجيبة حولها إلى بشر سوي ، إنها إمر أته التي يتزوجها ، يخطبها ويعبث بها، وينقد والدها ذرا و ياقوتا، ويبدو لنا هذا التشخيص في قوله:

ياخاطب القهوة الصهباء، يمهرها بالرطـل يأخد منها ملأه ذهبا[2]

أما في الأبيات التالية:

قصـرت بالراح، فأحذر أن تسمعها فيحلف الكرم أن يحمـــــل العنبـــا
إني بذلت لها ، لما بصرت بهـــا، صـــــاعا من الذر والياقوت ما ثقبـــا
فاستوحشت ، وبكت في الدن قائلة يا أم ويحـــك، إخشـــى النار واللهبـــا[3]

فقد شخصها ببراعة كبيرة، إنه يجيد تصويرها و هي ماكثة في الدن تماما مثلما تبكي وتتألم خائفة مترجية أن لا توضع على النار أو اللهب، ولا حتى تحت أشعة الشمس .

لقد رأى فيها نديمة وشقيقة زوجه، عروسا يخطبها و يمهرها بالغالي و الثمين يحبها حب العاشق المعشوق، وحب الزوج للزوجة، يوجه إليها جماحه الجنسي يصفها بجميع صفات

[1] – مرجع سابق ، ص 42.
[2] – م ن ، ص ن.
[3] – م ن ، ص ن .

الأنوثة، وقد ظهر حوار طريف بين هذه المر أة وبين النواسي، لم نشهد مثيله في شعر من سبقوه، إنها تتسائل عمن يخطبها و يجيبها وهو قائلا :

قالت " فمن خاطبني هذا؟" فقلت " أنا" قالت " فبعلي؟" قلت " الماء إن عذبا"

قالت " لقـــاحـــــي" فقلت" الثلج أبرده" قالت " فبيتي فمـــــــا إستحسن الخشا"

قلت " القنـــــاني و الأقداح، ولدهـــا رِفْعون" قالت " لقد هيجت لي طربـــــا"[1]

ثـــم تترجـــاه قائلـــة :

لا تمكننـــي من العربيد، يشربنتي ، ولا اللئيم الذي إن شمني قطبـــا

ولا المجـــــوس، فإن النار ربهـم، ولا اليهود، ولا من يعبد الصلبـــــا

ولا السفـــال الذي لا يستفيق، ولا غر الشباب ، ولا من يجهل الأدبا

ولا الأراذل ، إلا مـــــن يـــــوقرنتي من السقاة، ولكن إسقي العربـا[2]

وكأنها امرأة حقيقية تتوسله بأن لا يدع عربيدا سيء الخلق أولا لئيما، أو مجوسيا كان أو يهوديا، أو مسيحيا يقترب منها أو يشربها، وتطلب منه أن يبعدها عن كل سافل،أو أرذلي لا يوقرها.

و هكذا أصبحت قدرة أبي نواس على تشخيص معاني خمرته إلى كائن حي ، ملمحا فنيا من ملامح الحداثة التي عرفها شعره، لقد أراد أن يبث في ذلك الجمود روحا يبادلها العشق

[1] – مرجع سابق . ص42.

[2] – م ن ، ص ن.

و الحنان، يحس بها ، ويضاعف حبه لها، يتألم معها ويستأنس بها، وكل ذلك جميعا كان مما استحدثه في المعاني و الأسلوب، وقدرته على صب أحواله الوجدانية على الأشياء المادية.

3 – الغـزل بالغلمـان :

يعد أبو نواس الوارث للدماء الفارسية في عروقه، من أبرز المؤسسين لهذا الإتجاه الخطير و الجديد في نفس الوقت، وزعيم الإفتضاح و التهتك في هذا المجال بلا منازع، وممن خلفوا أدبا مكشوفا وكتبوا نصوصا شعرية مفعمة باللذائذ و الفحش.

فلا يكاد يذكر مجلسا إلا و ذكر لواطه بالساقي، ويكفي لذلك أن نقلب بعض صفحات ديوانه حتى تطالعنا أبيات بذيئة فاحشة وهاك نموذجا عنها :

تمتـــد بهـــا إليـــك يـــدا غـــلام أغـــن، كأنـــه رشـــأ ربيـــب
غدتـــه صـــنعة الـــدايات حتـــى، زهـــا ، فزهـــا بـــه دل وطيـــب
يجـــر لـــك العنـــان، إذا حســـاها، ويفـــتح عقـــد تكتـــه الـــدبيب
إن جمشـــته خلبتـــك منـــه طرائـــف تســـتخف لهـــا القلـــوب
ينـــوء بردفـــه فـــإذا تمشـــى تثنـــى ، فـــي غلائلـــه ،قضـــيب
يكـــاد مـــن الـــدلال إذا تثنـــى عليـــك، ومـــن تســـاقطه يـــذوب[1]

تعتبر هذه الأيات التي بين أيدينا من أذعر و أرذل الأبيات التي قالها أبونواس على الإطلاق ، فقد وقع هذا المتيم صريعا لهذا الحب القوي، و أسيرا لمفاتن الغلمان، وا إن هذه الأبيات لنمودج دال على ذلك، فقدعوض نقصه في حب المر أة ، ويأسه منها ، بحب أخر

[1] – أبو نواس ، الديوان ، ص 36.

وجده في الغلمان ، وكان من الطبيعي أن يقبل أبا نواس هذا الحب السائد في عصره ليزيل لمفي نفسه من عقد تجاه المر أة.

لقد أجاد أبونواس في تصوير الغلمان المخنثة تصويرا حسيا دقيقا ويبدأ غزله بقوله:

تمتـــد بهـــا إليـــك يـــدا غـــلام أغـــن كأنـــه رشـــأ ربيـــب[1]

إنه يصف ببراعة نعومة يديه الخاليتين من الشعر، وصوته الأغن، كما لا يغفل عن تشبيه قوامه الممشوق بقوام"الرشا "ولد الغزال، في خفة حركته و سرعته في إدارة الكؤوس .

غدتـــه صنعة الدايات حتى ، زهـــا فـــزهـــا به دل وطيـــب[2]

لقد أعجب كثيرا بأدبه ودلاله وأداءه الحسن، حتى أنطلق عنانه عندما رآه يحتسي الخمر بشاربيه الطريين، و أدناه منه وبادله أطراف الحديث أخـد يقـول :

يجر لك العنـــان ، إذا حســـاهـــا ، و يفتح عقـــد تكته الدبيب

و إن جمـشتـــه خالبتـــك منه ، طرائف تستخف لهـــا القلوب[3]

بعد أن ألم ببعض المميزات الحسنة في غلامه ، كاللين ، و اللطافة ، و النعومة و الدلال ، التي أتى على ذكرها جميعا برتابة ، و دقة و انسجام ، انتهى في الأخير إلى وصف مفاتنه الخارجية البارزة للعيان و يقول :

[1] – مرجع سابق ، ص 36.

[2] – م ن ، ص ن.

[3] –م ن ، ص ن.

ينوء بردفـــه ، فإذا تمـــشى تثـــنى ، في غلائله ، قضيب

يكـــاد من الدلال إذا تثنـــــى عليك، و من تساقطه يذوب [1]

لقد تكبد لذلك جرأة كبيرة ، حيث أكثر في هذا الوصف من التحرق و الشكوى فكلامه فيه متلهب العاطفة ، يبلغ قمة اللطف في الأداء و عذوبة الإنسجام ، على ما هنالك من شذوذ و تطرف و إفراط ، و هذه الألفاظ الأخيرة التي تلفظ بها ، تعد مجاهرة حقيقية بقدرته على اقتراف أفتك الأمور و أفضعها في سبيل الوصول إلى المتعة ، و لفظتا ردف ، و قضيب نزلتا به إلى أدنى درجات الرذيلة و سمت به إلى أقصى درجات المعصية .و من هنا نفهم أن أبا نواس كان رجلا مغرما باستفاء اللذة ، و تقصي المتعة دونما حرج أو حياء ، معرضا عن كل جمود و تقليد و كأنها كانت اندفاعة وراء حياة جديدة مليئة بالسفالة و المتعة .

ثـانيـــا: حضـــاريـــا

1-ثقـــافـــة المـدينـة

"ريحـــانة على أذن"

أحســن من وصف دارس الدمن ، و من حمام يبكـي على فنن

و من ديـــــار عفت معالمها ، ريحانـــة ركبـــت على أذن

و من روضـــــة بالنبات يانعة ، قد حفها كل نيـــر حســـن

كـــــأنما الوشي، من زخارفها ، وشي ثيـاب بسطن باليمـــن

و قهـــوة لا القـــذى يخالطها ، تأتيك من معدن، و من عطـــن

1 - مرجع سابق ، ص36.

مـــن بيـــت خمـــارة تـروح بهـا إليك مثل العروس من وطن

سـورتها في الرؤوس صاعـدة، و لينها في المذاق كـالذهن

من كف ظبي اغن ، ذي غنج ، أبدع فيـــه طرائـــف الحسن

يسعى بصفراء ، كالعقيقة في الـ كـأس، عليها الوشاح من مزن

فتلك أشفى من نعـــت دعبلـــة و من صفات الطلول و الدمن [1]

***دراسة تحليلية لقصيدة "ريحانة على أذن" كملمح حضاري حداثي في شعر أبي نواس.**

ا-الثورةعلى الصحراء العربية القاحلة:

ها هو ذا مرةأخرى يهز أ بالبيئة العربية القاحلة ، و يدعو إنسان عصره إلى تخطي الحياة القديمة ، و رواسبها ، و عيش الحياة الجديدة بروائعها و رذائلها .

و ربما ما أدى به إلى هذه النظرة هو قناعته بأهمية الحضارة ، و قدرة الثقافات على التغير ،إذ لم يجد بدا من الثورة على التقليد و إسقاطه ، إلا بالقول :

أحسن من وصف دارس الدمن ، و من حمام يبكي على فنـــن

ومـــــــن ديـــار عفت معالمها ريحانـــــة ركبـــت على أذن[2]

لقد جاءت ثورته مما نراه، قاسية نوعا ما ، هزت مشاعر الناس و جعلتهم يقفون على الواقع الذي يعيشونه، ويقتنعون بضرورة تغييره، و تبدو لنا من خلال هذين البيتين نبرة حادة في

[1]-ابو نواس ، الديوان ، ص612.

[2]- م ن ،ص ن .

الإزدراء على القديم ، بدأ بالدمن و الصحراء ، و ما فيها من قفار و أحراش ، و ديار عفت معالمها و مع ما ذلك من جذب و قساوة و مرارة عيش .

كما تراه يحسن تلاوة مثالب العرب واحدة بواحدة ، فطللهم جمد الحياة التي يريد أن يحياها و أيقض في نفسه حب السخرية و العبث، و خيمتهم وقفت حجر عثر أمام مدينته و شوهت صورتها ، أما رمالهم فعكرت صفو خمرته و مزاجه ، ليعيب عليهم في الأخير حمامهم الباكي متخذا من بكائه على الديار المهجورة ، رمزا للشؤم ،و الحزن و اليأس .

ب-التغني بملذات الحياة الجديدة :

وقف أبو نواس معاندا صلبا في وجه التقليد، و مجاهرا جريئا بمجونه، و انبرى كثيرا لحضارة عصره المادية و الإنتصار لها، محاولا تجسيد ها في بيئته الظمئ محتكما في ذلك لذوقه و نفسيته و لنتمعن قوله جيدا:

في روضــة بالنبـــات يانعـة حفهـا كـــل نير حســـــــن

كأنمـــا الوشي ، من زخارفهـا وشـــــي ثياب بسطن اليمن[1]

بعد أن أعلن أبا نواس ثورته ، في الأبيات الأولى ، على من يتغنون بالماضي ، ها هو في الأبيات الثانية ، يرسم بمهارة صور و أشكال الحياة الجديدة ، التي يريد أن يحياها و يوجه جميع اهتمامه ، إلى القصور و الرياض و ما تزخر به من خمر ، ونبات و حدائق ، و جنان تعد آية في الجمال ، على خلاف ربوع الأعراب الخالية التي تفتقر إلى الرسوم الدائرة و المناظر الساحرة، و تراه يدقق النظر فيها قائلا :

[1] -ابو نواس ، الديوان ، ص 612.

كأنما الوشي من زخارفها وشي ثياب بسطن اليمن[1]

و مقصده من وراء هذا البيت ، كان التذكير بمظاهر ترف الأكاسرة ، فقد ابتنوا القصور الهائلة المروعة، وأسرفوا في تزيينها بالزخرف، و الوشي و التنميق، وبنى العباسيون قصورا على شاكلتهم، و استقدموا الصناع و الفنانين من أقاصي مملكتهم، حتى غدت الحاضرة العباسية كروضة غناء، فيها ما يعجب الخلعاء من فنون و خمور ،و دساكر لهو و مجون ، و كل هذه الأشكال و الألوان الجديدة الباهرة و أجواء الترف الفاحش غيرت من ذوق الفرد العباسي في الأطعمة و الأشربة و اللبس ، حتى غدت الخمرة على موائد و العامة و يقول فيها:

وقهوة لا القـــذى يخالطها ، تأتيك من معدن، ومن عطن

من بيت خمارة تروح بهـــا إليك مثل العروس من وطن

سورتها في الرؤوس صاعدة، ولينها في المذاق كالدهن[2]

إنه يصف واقعه الجديد من خلال خمرته التي تعد ملمحا حداثيا، وداعيا من دواعي التمدن، ومن المؤكد أنها تمثل الحياة الجديدة المتحضرة في بغداد ومدن كثير، و أول مايطالعنا في هذه اللوحة الخمرية، نوعية الخمرة الردئية و الجيدة، ويقول عنها : "أنها مثل العروس من وطن" أي أنها تأتي من بلاد وموطن بعيدمعصورة مخمور ة إلى خمـارات بغـداد. و قد برع كثيرا في تصويرها ، كالعروس التي تزف من بيت زوجها ويضفي على المشهد

[1] – مرجع سابق ، ص 612.

[2] – م ن ، ص ن.

حركية متميزة، ثم يفضلها على الأشرية العربية في ليونة ونعومة المذاق ، وتأثيرها في العقول ويتضح لنا ذلك في قوله:

سورتها في الرؤوس صاعدة، ولينها في المذاق كالدهن[1]

ومن خلالها يقدم لنا وصفا دقيقا للتحولات التي أصابت شريحة واسعة من المجتمع و تتمثل الصورة الجديدة في إقبال الناس على شربها، وممارسة العبث بشتى صوره و أشكاله، ولا يتوارى أبو نواس عن وصف مجالس الخمر كما يخيل له ، وها هو ذا يقدم لنا لوحة فنية عجيبة، تشتمل على جميع ألوان الطيش الذي كان يمارسه هؤلاء المجتمعون في مجلس الشراب:

من كف ظبي أغن، ذي غنج، أبدع فيه طرائف الحسن

يسعى بصفراء، كالعقيقة في الـ كأس ، عليها الوشاح من مزن[2]

و لا تكتمل أركان هذا المجلس، إلا عندما يرسم الشخصية التي تضفي عليهم نكهة خاصة و التي بدونها لا تكتمل أركان اللهو و العبث الذي ينشدونه ، وهي صورة الغلام الذي فاق حسنه كل وصف .

و أمام هذا الواقع المليئ بالمتع يواصل أبي نواس دعوته، مستمتعا بعبثه إلى أن ويقول في البيت الأخير:

قتلك أشقى عن نعت دعبلة ، ومن صفات الطلول و الدمن[3]

---

[1] – مرجع سابق ، ص 612.

[2] ، م ن ، ص ن.

[3] – م ن ، ص ن .

2-خمـرة الأديـرة:

" ريـاحيـن ضاحكـة "

بـــدير بهـــراذان لـــي مجلـــس، وملعـــــب وســـــط بســـــاتينه
رحـــت إليـــه ومعـــي فتيـــة، نـــــزوره يـــــوم ســـــعانينه
بكـــل طـــلاب الهـــوى، فاتـــك قـــد أثـــر الـــدنيا علـــى دينـــه
حتـــى توفينـــا إلـــى مجلـــس ، تضـــــحك ألـــــوان رياحينـــــه
و النـــرجس الغـــض لـــدى ورده، و الـــورد قـــد حـــف ينســـرينه
وجـــيء الـــدن علـــى مرفـــع، وخـــاتم العلـــج علـــى طينـــه
وافتصـــد الأكحـــل مـــن دنـــان، فانصـــاع فـــي حمـــرة تلوينـــه
وطـــاف بالكـــأس لنـــا شـــادن ، يدميـــه مـــس الكـــف مـــن لينـــه.
يكـــاد مـــن إشـــراق خديـــه أن تخطـــف الأبصـــار مـــن دونـــه
حتـــى غـــدا الســـكران مـــن ســـكره، كالميت في بعض أحـــاييـنـــــــه[1]

***-دراسة تحليلية لقصيدة رياحين ضاحكة "لأبي نواس كملمح حداثي حضاري في شعره.**

بعدما نالت هذه الأديرة خظا وافرا على الأرض العربية، واختيرت لها أخصب الأراضي و أجملها على الإطلاق، حولها الرهبان و القساوسة ، إلى جنائن كثيرة الخضار رائعة المنظر ومعاصر للخمور وتعتيقها وصار يقصدها طلاب المتعة والتنزه من كل ناحية.

[1] – مرجع سابق ، ص 600.

وها هو ذا أبو نواس من شدة عبثه بالدين، راح يصف هذه الاديرة ويستمتع بخمرتها ور بما لم يجد خيرا من مجالسها ليخمد حنينه لديار اللهو و المجون الحقيقية فيقول :

بدير بهراذان لي مجلس، و ملعب وسط بساتينه[1]

ويؤكد أبو نواس من جديد ، على ضرورة حسن المكان الذي تشرب فبه الخمرة ثم يشير إلى مناسبة زيا ة الدير قائلا :

رحت إليه ومعي فتية ، نزوره يوم سعانينه[2]

لقد اصطحب أبو نواس زمرة من الفتيان الذين أغرتهم الدنيا و أنستهم دينهم معه إلى دير بهراذان للإحتفال سويا بعيد الشعانين أو الفصح النصراني.

لقد استقبلوه في الصباح الباكر، بزجاجات الخمر و أغصان الزيتون،سابحين راكعين،كما يفعل النصارى ،ومن المعلوم عنه أنه كان من المتمردين على حدود الله ،فلم يتوانى عن الإحتفال بالأعياد المسيحية ،مفضلا إياها عن أيام العروبة في مساجد الله ،لأن الأولى مليئة بالخمور و الشذى و الطرب عكس الثانية ،فهي حدود لا يجوز أن تنتهك، و لم يتورع أبا نواس أن يقسم بالإنجيل و لم يخفي إعجابه بالرهبان و هم يقرؤون الإنجيل في جو من المديح.

و لقد برع كثيرا في رسم تلك اللوحة الجميلة التي عبر بها عن الأوقات الممتعة التي قضاها رفقة طلاب الهوى في ذلك الدير.

[1] – مرجع سابق ، ص 600.

[2] – م ن ، ص ن.

و لم يغفل عن الطبيعة الغناء و المناظر الساحرة، التي تحف ذلك الدير فورود "النسرين و النرجس" لمظاهر دالة على محاسن المدينة،و في نفس الوقت ثورة عن البيئة القاسية التي لم ترتح لها نفسيته و لا رغبته. فبعد أن استعاض الأطلال بالخمرة ،ها هو ذا يستعيض العشر و الطلح و الشوك بورود النسرين و النرجس و يقول :

حتـــى توافينـــا إلى مجلس ، تضحـــــــك ألوان رياحينـــه

و النرجـــس الغض لدى ورده، و الـورد قد حف بنسرينه[1]

إذن فالحياة عند أبيٍنواس قلب و روح و بدن ،ماء و خمر ة ، و بستان و ووجه حسن.

ثم ينتقل إلى تمجيد خمرته قائلا:

و جيء بالدن على مرفع ، و خاتم العلج على طينه[2]

إن هذا البيت يدل بوضوح على تقديس أبي نواس لخمرته، كما كان يفعل أجداده الفرس و عبارة " جيء بالدن على مرفع" تفسر لنا ذلك، و ربما كان نعتها بالأسماء الحسنى ،و بألفاظ الإكبار و الإجلال في بعض المواضع و المواقع، و جعل طقوس لعبادتها ، لمواقف تحدث في الكنائس و المعابد، و إن هذا المشهد الديني يصور و يشبه لنا ما يختزن في قرارة نفسية أبي نواس أثناء شرب الخمر، بالحالة التي تنتاب العابد في محرابه على دين المسيح، و هو كل سعيه التقرب من الله و نيل رضاه، و صفحه ،فإن حقيقة إيمان أبا نواس بالله باتت غامضة و أضحى هو بفلسفة و دين جديدين، فخمرته أنسته الله تعالى مادام وصفها بصفات الذات الإلهية التي

[1]– مرجع سابق ،ص600.

[2]– م ن، ص ن.

تجل عن الشبه و المثل ،لأنها تبيح له اختراق المحظور، و اقتراف كل ما طاب له من حــرام و هكذا فأبو نواس يتفق إلى حد ما مع الديانة المسيحية التي تبيح أشياء و تحرم أخرى.

و بعدما يصف لون خمرته ينتقل إلى وصف الكؤوس التي تقدم فيها،و هذه التفاتة جديدة و مظهر آخر من مظاهر التمدن التي دعا لها النواسي ،فالعرب في جاهليتهم لم يعرفوا الشرب في الكؤوس بل كانوا يشربون من المستنقعات و لفطة "كأس" تدل على أن صناعة الكؤوس الذهبية المرصعة باللؤلؤ على جوانبها هي فن فارسي جديد، و لهذا فصورة كسرى تحضر حتى في قرارة الكأس و يقول :

وطــــاف بالكـــأس لنـــا شـــادن ، يدميـــه مـــس الكـــف مـــن لينـــه[1]

و لا يبتعد بنا كثيرا حتى تقع عينيه على غلام شادن طيب الأعطاف ، يطارحه بعض الغرام ، و الغزل العابر ، و يقول فيه :

يكاد من إشراق خديه أن تخطف الأبصار من دونه [2]

لقد أعجب بتلك اليدين الناعمتين اللتان تحملان دنان الخمر، المشرقة بإشراق وجهــه و هذه رغبة أخرى راعنة تخرج من جسده باحثة عن المتعة، في أجساد الغلمان كونها الملجأ المناسب لذلك.

ثم يعبر مفتخرا بهذا الدير ، و بما يسمح به من لهو و سكر و قصف،على غير رادع و فيه تشكر و تقدير للرهبان و القساوسة ، الذين وهبوا حياتهم لخدمة الرب و طاعته ،إلا أن هذه

[1]– مرجع سابق، ص 600.

[2]– م ن ، ص ن.

الحياة الصعبة الملتزمة تصعب على رجل أراد الحياة خمره بعد خمره سكرة بعد سكــرة في جــرأة و صراحة و يقول في الأبيات الأخيرة :

فلم نزل نسقــى ، و نلهو بــتته، و نــأخـــذ القصف بآيينـــه

حتى غدا السكـــران من سكـــره، كالميت في بعض أحايينـــه [1]

إذن أكد أبو نواس مرة أخرى أنه لا يرضخ مطلقا لوثن ، و يأبى أن يكون عابدا لأي لصنم بليد ، و هكذا نصب نفسه رسولا بامتياز في تبنيه لدعوة المدينة.

[1]–مرجع سابق ص 600.

الخاتمة

إن‌كان أبو نواس قد أراد تحريك مياه الحياة العربية الراكدة، و خلق تجربة شعرية صادقة، فإنه نجح في ذلك حقا ،لما أتى به من نظرة جديدة ، وجه إليها جميــع طاقاته الفكريـة و الفنية ،أنزلته بدورها معترك الحياة ، و أخذ يخوض في غمارها ، و يجادل فيمن يجادل ليبرر موقفه الشاذ من الحياة كلها.

لقد كان كل ما يدغدغ حسه و يوفر له متعة في نظره،هو و ما يحب أن يكون عليه البشر، من مبادئ و نظم أخلاقية و اجتماعية.

لذا فبعد هذه الدراسة الممتعة مع أبي نواس ،و التي نرجو أن تكون قد رفعت نوعا من الغموض، و لو بقليل عن بعض القضايا التي شكلت حداثة في شعره و عصره على حد سواء نتوصل إلى النتائج التالية:

1-تميز أبو نواس بغزارة نتاجه الشعري، و عايش مختلف طبقات مجتمعه، و سجل حضور لافتا بين شعراء عصره و نقاده، لما مثله من عناصر التغيير في مضمون القصيدة العربية، وعد بحق أحد أبرز منظري مذهب العبث في زمانه.

2- كان شعوبيا،و يظهر ذلك في تهجمه الساخر على العرب ،و تنديده بذهنيتهم المختلفة .

3- تميز أبو نواس بقدرة على تشخيص الأشياء المادية ، و خمرته لدليل ذلك فهي تعمل في النفوس و الأجساد ،ما يعمله الحب الإلهي في نفوس المتصوفة و أجسادهم ، تنتزع الروح من الجسد و تطلقها إلى عالمها الروحاني ، حيث النشوة و هذه الصورة هي أقصى ما يصل إليه خيال الإنسان المبدع آنذاك.

4 – كان عقله مشككا، رافضا لحدود التصديق بالدين ، أمضى حياته عابدا لغرائزه المتصــارعة ،باحثا عن إشباعها و فقط.

و في الأخير لا يسعنا القول سوى أن ،هذا البحث ما هو إلا دراسة جزئية لهذا الموضوع الذي يقتضي شيئا من الدقة و التحليل،و يحتاج إلى أبحاث أخرى ، أكثر شمولية و أكثر نفعا ،و ذلك من أجل تتبع حيثيات هذه الظاهرة بسلاسة و دقة ،كما نتمنى أن تكون لنا أبحاث أخرى في هذا المجال أيضا.

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

- **المصـــادر:**

1- أبو نواس: الحسن ابن هانى، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت،1986.

2- ديوان أبي نواس، تحقيق: علي فاعور ،ط3، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،2002.

- **المعـــاجـــم:**

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، خالد رشيد القاضي،ج7،ط1،دار صبح بيروت،لبنان،.2006

2-ياقوت الحموي الرومي،معجم الأدباء، إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ،تحقيق: د. حسان عباس،ج1،ط1، دار العرب الاسلامي، بيروت لبنان،1993.

- **المـــــراجـــع:**

1-أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة و الادب، ج1، مكتبة المشكاة الاسلامية.

2-الآلوسي محمد شكري البغدادي ،بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب،ج1،ط3، دار الكتب العربي القاهرة،1342هـ.

2- أبو عثمان عمر ابن الجاحظ، البيان و التبين، تحقيق شرح: عبد السلام محمد هارون ،ج3،ط7،مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة،1998.

3- أحمد الواتلي ، هوية التشييع،مركز الابحاثا العقائدية،سلسة كتب العقلئد، القاهرة.

4- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ ايران القديم حضارتها، ايران منذ اق4دم العصور في اواسط الألف الثالث قبل الميلاد ،دار النهضة العربية ، بيروت، 1988.

6-أحمد أمين،ضحى الاسلام،ج1،ط7،مدرسة الطبع و النشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

7-أحمد شوقي ابراهيم العمرجي ،المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية ،ط1 مكتبة مذبولي، ميدان طلعت حرب ،كلية الآداب، جامعة أسيوط، القاهرة ،2000.

8-أمين عبد المجيد بدوي، القصة في الأدب الفارسي، بيروت،1971.

9-المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تحقيق: إمام عبد الفتاح، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،الكويت،.1978

10-أدونيس ، الثابت و التحول ،ج2،بيروت، دار العودة، بيروت،.1983

11-أدونيس ، زمن الشعر ،ط3،دار العودة، بيروت، .1983
12-أدونيس، فاتحة لنهايات القرن بيانات من أجل ثقافة عربية، ط1،بيروت، دارالعودة، 1980.
13- أدونيس، مقدمة للشعر العربي ، بيروت ، دارالعودةط.1983،4
14-ايليا الحاوي ،فن الشعر الخمري و تطوره عند العرب ، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان،1997.
15-جان غال،فلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ،ترجمة : الأب مارون خوري ،ط3، منشورات دار عويدات، باريس ،1982.
15-جعفر مرتضى الحسن العاملي ،سلمان الفارسي ،مؤسسة النشر الاسلامي ،رقم،1409 ايران.
16-ج-ج، مودي ،التعاليم الدينية للديانة الزرادشتية، بومباي،.1962
17- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الادب القديم ،ط1،دار الجيل، بيروت،لبنان.
18- سعيد أبو العينين، حكايات الجواري في قصور الخلافة،الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، قطاع الثقافة ،دار اخبار اليوم، عدد يونيو،.1998
19- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي،ط1،دار المعارف ،كورنيش النيل، القاهرة.
20- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،ج3،ط2،دار المعارف القاهرة.
21- صلاح الدين أحمد درواشة، الرؤى و الأدوات عند شعراء القرن الثاني الهجري،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،.2008
22- طه حسين ،حديث الأربعاء ،ج2،دار المعارف،مصر.
23- عبد الرحمان صدقي ، الحان الحان،دار المعارف ،مصر1957.
24- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا و ظواهر،ط1، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان الأردن،2008.
25-عبد القادر مرزاق، مشروع أدونيس الفكري و الأبداعي،ط1،المعهد العالمي للفكر الاسلامي هرندن، فيرجينيا ،الولايات المتحدة الامريكية،2008.
26-عز الدين اسماعيل ، الآدب العباسي، الرؤية و الفن ،دار النهضة العربية، بيروت،1975.
27-كامل الشناوي، اعترافات أبي نواس،ط2، دار المعارف، كورنيش النيل ،القاهرة.
28-محمد ابن اسحاق النديم ، الفهرستج2،ج4، المنقول من دستوره و بخطه.
29-محمد برادة ،اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، فصول،م4،ع1984،3

30- محمد بيومي مهراني، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج1،مصر،الكتاب الأول- التاريخ-،الاسكندرية،1982.
31- د. توفيق النيفر،تاريخ الادب العربي بالفضاء المشرقي من الجاهلية الى النهضة ،ج1.
32- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و مظاهر التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول،(132هـ-232هـ)،جامعة منتوري قسنطينة،1985.
33- محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب في العصر العباسي الاول،ط1،دار الجيل،بيروت،1992.
34- ميشيل فوكو، الكلمات و الأشياء، مشروع مطاع صدفي للينابيع ،مركز الإنماء القومي ،راس بيروت لبنان ،1989-1990.

- **<u>موقـــــع الكترونـــــي:</u>**

1- ستيفن أولمن، كوسموبولس، الأجندة المخفية للحداثة مطبعة شيكاغو، شيكاغو.
Http://ar. wikipidia.org.

فهرس الموضوعات

فهـــــــرس

مقدمـــــــــــة----------أ-ب

تمهيـــــد: حيـــــاة أبـــي نـــــواس و إشكـــاليـــة الحداثـــــة

أولا: حيـــــاة أبـــي نواس و أدبـــــه.----------02

1- مولــده و نشأتـــه ----------**03**

2- صلته بوالبة بن الحباب الأسدي----------**05**

3- منادمــته للأميــن----------**08**

4- شخصية أبي نواس ----------**10**

5- زهده ثم وفـــاتـــه ---------- **12**

6- آثـــــــــاره ----------**14**

ثانيـــا: إشكـــالية الحداثـــــــة. ----------15

1-مفهومهـــــــــا اللغـوي ----------**15**

2-مفهومها الاصطلاحـــي----------**16**

الفصـــــل الأول: مصـــادر و أصـــول الحداثة الشعرية عند أبي نواس

أولا :مصادر و أصول دينية للحداثة الشعرية عند أبي نواس ---------- 23

1- العقائد الدينية االفارسيــة ----------**23**

1-الديانة الآريـــة ----------**23**

2-الديانة الزرادشتية ----------**24**

3-الديانة المانويـــة ----------**27**

4-الديانة المزدكيـــة ----------**28**

2- أثر الديانة الفارسية في شعر أبي نواس ----------**29**

ثانيا : مصادر و أصول عرقية للحداثة الشعرية عند أبي نواس -------

1-مذهب الشعوبية و ملامحه في شعر أبي نواس ---------- 31

أ- مفهـومهـــــا لغـــة ---------- **31**

ب- مفهومها اصطلاحا----------**31**

ج-أسباب ظهور النزعة الشعوبية في العصر العباسي ----------34

د-مظاهر النزعة الشعوبية في المجتمع العباسي---------- 35
هـ-ملامح الشعوبية الأدبية في شعر أبي نواس ----------37
2- نبد الحياة العربية و تفضيل خمرته على حبيبته---------- 39
الفصل الثاني: ملامح الحداثة في شعر أبي نواس
أولا : فنيا ----------
1. الثورة على الطلل----------44
2. التغني بالخمرة----------47
3. الغزل بالغلمان---------- 57
ثانيا : حضاريا----------59
1. ثقافة المدينة----------59
2. خمرة الأديرة----------64
الخاتمة ----------69
قائمة المراجع ----------71
فهرس الموضوعات----------